

Olive Cultivation and Olive Presses: An Archaeological and Architectural Study of Traditional Olive Mill Buildings in Wadi Bani Walid during the Ottoman Period.

Ali Milad Al Jamil Abdul Rahman*

Department of Archaeology, Faculty of Arts, University of Bani Waleed, Bani Walid, Libya

*Email: alijameel74074@gmail.com

زراعة الزيتون ومعاصره: دراسة أثرية معمارية لنماذج من أبنية معاصر الزيتون التقليدية بوادي بني وليد خلال العهد العثماني.

علي ميلاد الجميل عبد الرحمن*

قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بني وليد، بني وليد، ليبيا

Received: 22-02-2026	Accepted: 03-05-2026	Published: 16-05-2026
	Copyright: © 2026 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).	

Abstract

This study examines the history of olive cultivation and oil extraction in the Bani Walid region during the second Ottoman period. The olive tree has been significant to the local economy since ancient times, particularly during the Roman era, when its cultivation and oil extraction were not only for local consumption but also served as a vital economic resource through oil trade. Several varieties of olive trees were cultivated in the Bani Walid region (Wadi al-Bilad). This study will focus on the history and cultivation of olives in the Bani Walid region, including their varieties. It will then discuss the architecture of traditional olive presses, the oil extraction process, and their construction styles and architectural features along the banks of Wadi Bani Walid (Wadi al-Bilad). This will be achieved through an architectural field study of selected examples from the second Ottoman period.

The study will also be supported by available customary documents that describe the different types of olive trees and their local names, as well as the commercial transactions (buying and selling) of olive trees and olive oil in Bani Walid during the second Ottoman period.

Keywords: Olive cultivation, olive presses, Wadi Bani Walid, the second Ottoman era, customary documents.

المخلص

تستعرض هذه الدراسة تاريخ أحد أنشطة الزراعة الشجرية التي عرفها الإنسان منذ القدم والمتمثلة في ممارسة زراعة أشجار الزيتون، إذ من المعروف أهمية هذه الشجرة في اقتصاديات المجتمع المحلي بمنطقة بني وليد منذ العصور القديمة، كما تركز الدراسة على النشاط المعماري المرتبط بها المتمثل في بناء وتشبيد أبنية معاصر الزيتون التي عن طريقها يتم استخلاص و إنتاج زيت الزيتون، حيث وقع الاهتمام بزراعته واستخراج الزيت منها ليس لغرض الاستهلاك المحلي فحسب بل امتد الأمر لتصبح مصدراً ورافداً اقتصادياً هاماً للمجتمع المحلي من خلال الإتجار بزيت الزيتون البكر.

وستقتصر الدراسة على تتبع السياق التاريخي لزراعة الزيتون وأنواعه بمنطقة بني وليد، ثم دراسة بنية عمارة المعاصر التقليدية وآلية استخراج زيت الزيتون بواسطتها وذلك بالوقوف على اسلوب ونمط بناء عمائرها المنتشرة على ضفتي وادي بني وليد (وادي البلاد) ضمن ابنية القرى المحلية (القصور)، وذلك من خلال الدراسة الميدانية المعمارية لبعض نماذجها الباقية من العصر العثماني.

الكلمات المفتاحية: زراعة الزيتون، معاصر الزيتون، وادي بني وليد، العصر العثماني الثاني، الوثائق العرفية.

المقدمة:

تعد الزراعة من النشاطات الأساسية التي بنيت عليها اقتصاديات المجتمعات البشرية منذ القدم، حيث مارس الإنسان الزراعة الموسمية الواسعة والزراعة الشجرية خاصة زراعة أشجار الزيتون، لأن منتجاتها تدخل في مختلف ضروريات الحياة، وأهمها طبيعة الحال الحاجة للغذاء وبناء المأوى الآمن، ودعم الأنشطة الاقتصادية الأخرى من تربية الحيوانات، فضلاً عن استخدامها في توفير الطاقة الحرارية والإنارة، بل وحتى في الأغراض الطبية والتجميلية.

وتؤكد الدراسات التاريخية والأثرية أن إقليم حوض البحر المتوسط بصفة عامة هو الموطن أو المنبت الأول لشجرة الزيتون، حيث ساعدت طبيعة المناخ المعتدل والتضاريس وخصوبة التربة على ازدهار زراعتها في إقليم طرابلس وتريبوليتانيا، منذ العهد الفينيقي و العصر الروماني وما بعده وصولاً للعصور الإسلامية.

وتشير الدراسات إلى انتشار وازدهار زراعتها في مناطق كثيرة في ليبيا الحالية سواء في نطاق السهل الساحلي أو منطقة ما دون الصحراء التي كانت تعرف آنذاك باسم إقليم (الليمتاني)، حيث تتركز حدود منطقة الدراسة في (مدينة بني وليد)، ولما كانت ممارسة زراعة الزيتون ومعاصره التقليدية في هذه المدينة خلال العهد العثماني لها علاقة مباشرة بالمجال الزراعي والاقتصادي أو المعيشي والصناعي الذي ورثه سكانها بدافع الحاجة عن أسلافهم منذ العصور القديمة، فقد كان لزراعة الزيتون نتائج متعلقة بها ترتبط بالنشاط المعماري المتمم لهذه العملية الاقتصادية المتمثل في بناء وتشبيد أبنية معاصر الزيتون التي عن طريقها يتم استخلاص وإنتاج محصول زيت الزيتون البكر، الأمر الذي يعد تكملة الحلقة الاقتصادية الإنتاجية.

أهمية موضوع البحث:

تندرج أهمية البحث في كونه محاولة لتسليط الضوء على العمق التاريخي وعراقة نشاط زراعة الزيتون في منطقة بني وليد منذ القديم، عندما كانت أحد مناطق إقليم طرابلس القديم تريبوليتانيا، وصولاً إلى العهد العثماني حيث ستركز الدراسة على هذه الفترة لما لها من أهمية تاريخية، ولما كان مثل هذا الموضوع لم يحظ بدراسة أثرية سابقة، فإن الخوض فيه قد يفتح الباب مستقبلاً لمزيد من الاهتمام بعمارة الآثار التقليدية بالمناطق الريفية المحلية، خاصة عمارة أبنية معاصر الزيتون التي مازال كثير منها قائماً ومهدداً بالاندثار بسبب الإهمال والتقدم، كما تسلط الدراسة الضوء على جانب ثقافي يعكس طبيعة الثقافة الزراعية

والمعمارية العريقة في المجتمع المحلي بمدينة بني وليد منذ القدم والوقوف على حجمها وعمق تجربتها الحضارية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التركيز على الراحل التاريخية لزراعة الزيتون و عملية إنتاج زيتته في منطقة بني وليد منذ القدم حتى الفترة العثمانية موضوع البحث، كما يسعى بشكل أساسي لتسليط الضوء على أنواع أشجار الزيتون بوادي بني وليد ومحاولة حصر أبنية المعاصر التقليدية المنتشرة بالقرى التراثية بالمدينة وتحليل هيكلها التصميمي وآلية عملها والتأريخ لها كأبنية أثرية خدمية مستعنين في ذلك على ما توفر من نصوص تاريخية مدونة على جدران هذه المعاصر، فضلاً عما أمكن الوصول إليه من وثائق عرفية محلية تتعلق بزراعة الزيتون أو أبنية المعاصر.

مشكلات البحث: تتمثل أهم المشكلات التي تعرض لها البحث في قلة النصوص والنقوش التي تؤرخ للكثير من أبنية المعاصر التي شملتها الدراسة الميدانية، مما جعل البحث يقتصر على دراسة بعض نماذجها التي ما زالت بحالة جيدة من الحفظ والتي تتوافر على نصوص تؤرخ لبنائها، فضلاً عن احتفاظها بعناصرها المعمارية الأساسية التي تمثل آلية إنتاج زيت الزيتون. هذا إضافة لقلة الدراسات السابقة، فضلاً عن أن المقام وسياق البحث لا يمكن من تضمين كل أبنية المعاصر التي شملتها الدراسة الميدانية بحكم عددها الذي فاق الأربعين مبنى.

منهجية البحث:

لقد اعتمد البحث بالدرجة الأساس على المنهج التاريخي لغرض رصد وتتبع النشاط الاقتصادي الزراعي الصناعي في منطقة بني وليد منذ القدم حتى الفترة الزمنية موضوع البحث، كما اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي في وصف الهيكل والكتلة المعمارية لأبنية المعاصرة التراثية، وأهم مكوناتها، وتحليل التقاليد المعمارية المتبعة في تشييدها.

وللوصول للنتائج العلمية المرجوة، فقد تم تقسيم البحث لعدة محاور هي كالتالي:

المحور الأول: الموقع الجغرافي والتركيبية السكانية لمنطقة بني وليد.

المحور الثاني: تاريخ زراعة الزيتون ومعاصره بمدينة بني وليد.

المحور الثالث: الدراسة الوصفية لنماذج من أبنية معاصر الزيوت التقليدية بمدينة بني وليد.

المحور الأول: الموقع الجغرافي والتركيبية السكانية لمنطقة بني وليد.

1-الموقع الجغرافي:

تقع مدينة بني وليد في الشمال الغربي من ليبيا، في المنطقة المعروفة جغرافياً باسم إقليم القبلة، وتغطي مساحة تقرب إلى 19710 كم² تقريباً، ويحدد موقعها الفلكي بين دائرتي عرض 30.23 و32.19 شمالاً، وخطي طول 13.32 و15.5 شرقاً، على ارتفاع 360 متر فوق سطح البحر (شرف، 1962م، ص77-92؛ Amhimmid, 2025, p.338)، وتقع بني وليد في اتجاه جنوبي شرق مدينة طرابلس، وتبعد عنها مسافة 180 كم تقريباً، ويحدها شمالاً ترهونة وزليتن، ومن الشمال الشرقي مدينة مصراتة، ومن الشرق مدينة سرت، ومن الجنوب الشرقي منطقة البرني ونجم، وغرباً مدينة غريان وباقي مناطق جبل نفوسة. (الزرقاني، 2017 م، ص21؛ Amhimmid, 2025, p.338).

2-التضاريس:

يغلب على تضاريس المدينة كونها منطقة تفرعات للعديد من الأودية الجافة التي تشكل شريان الحياة الاقتصادية لسكانها، خاصة فيما يتعلق بحرفتي الزراعة والرعي، ومن أهمها وادي سوف الجين، ووادي

زمزم، ووادي المردوم، ووادي بني وليد (البلاد)، ووادي دينار.. وغيرها من الأودية الأخرى التي تخترق وتتفرع باتجاهات مختلفة من المدينة حسب الانحدار السطحي للأرضية، لتكون في نهايتها سهولاً منبسطة في الجزء الجنوبي والجنوبي الشرقي للمدينة (شرف، 1962، ص 113، Alwirfili and Algheetah, 2025. P. 1331).

3- المناخ:

أما مناخ المدينة فيندرج بشكل عام ضمن مناخ البحر المتوسط، غير أن بعدها عن منطقة الساحل يجعلها من المناطق ذات المناخ شبه الصحراوي الذي يتسم بتذبذب كمية هطول الأمطار عليه (Alwirfili and Algheetah, 2025. Pp. 1331-1332)، حيث لا تتجاوز نسبته السنوية (200) ملم، وهو ما يمثل الحد الأدنى لقيام زراعة بعلى مستقرة في الأودية الشمالية بالمدينة، في حين قد يقل مستوى الهطول إلى (25) ملم في أوديتها الجنوبية والجنوبية الشرقية.

ويسود طقسها صيفاً رياح القبلي الجافة، كما تهب الرياح الشمالية الغربية التي تتميز ببرودتها وتؤدي إلى انخفاض درجة الحرارة وهطول الأمطار (Amhimmid, 2025, p.338)، كما أن وقوع المدينة في منطقة ظل الجبل الغربي يعمل في كثير من الأحيان على تقريق الرياح الحاملة للسحب المنخفضة الممطرة عن مجال أوديتها. (الحجاجي، 1989 م، ص 95).

وبنظرة عامة للجغرافيا التاريخية المكانية لمنطقة بني وليد نجد أنها قد شهدت استقرار الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ وهو ما دلت عليه الأدوات الحجرية المكتشفة في موقع بئر دوفان الواقع في إحدى تفرعات وادي المردوم (Adaba, 2020, pp. 297. Adaba, 2026a, pp. 423). كما يؤكد التحليل المبني للتجمع السطحي للأدوات الحجرية على وجود تواتر لتجمعات حجرية إيبى باليوليتية و نيوليتية، وهو ما يشير إلى استقرار مجموعات من الصيادين الجامعين في المنطقة خلال عصر الهولوسين المبكر، وعادة ما تحتوى المواقع السكنية على رسوم صخرية (Adaba, 2026b, pp. 656). وبالانتقال إلى العصور التاريخية نجد أن المنطقة كانت تقع ضمن نطاق سيطرة القرطاجيين ومن بعدهم النوميديين (Amhimmid, 2025, p.338)، ولكن لم تبرز بشكل حضاري إلا عندما أصبحت ضمن نطاق إقليم المدن الثلاث (تريبوليتانيا)، وذلك خلال العصر الروماني، حيث أصبحت تابعة لمدينة لبد، بل ومثلت ظهيراً اقتصادياً وسياسياً هاماً لها فمنطقة بني وليد تقع ضمن إقليم ما دون الصحراء أو منطقة التخوم الطرابلسية التي عرفت آنذاك باسم إقليم "الليميتاني" (هينز، د-ت)، وهي ربوع واسعة الأرجاء كانت تضم نشاطاً بشرياً منذ أقدم العصور - وعلى الرغم من أن الشواهد الأثرية التي قد تُشاهد اليوم تظهرها كمناطق من الخراب والأبنية المهجورة - الأمر الذي دفع الكثير من الباحثين للاعتقاد بحدوث تغيرات مناخية بالمنطقة نهاية الحقبة الرومانية وما بعدها بسبب حصول وقوعها تحت مناخ جاف ادي الى تدهور سبل العيش فيها - إلا أن الأدلة والبحوث العلمية الحديثة تشير إلى أن الأحوال المناخية كانت مماثلة إلى حد كبير لما هي عليه في الوقت الحاضر (ماتنغلي، 2009م، ص 37، ص 65؛ انديشة، 1993 م، ص 64).

ومما يؤكد انتعاش الحياة الزراعية وانتشار المستوطنات السكانية بمنطقة التخوم آنذاك لكن الازدهار الزراعي كان بسبب الإدارة الواعية والاستغلال الأمثل للموارد المائية خلال العصر الروماني الأثرية والأضرحة المنتشرة في بعض الوديان الأخرى بالمدينة (Alhaj, 2025, p. 566-569)، فضلاً عن السجلات الوثائقية الكتابية والنقوش على الأبنية واللقى الأثرية في قصر ابونجيم من العهد الروماني، وكلها تصور النشاط الزراعي وتوثق تصدير السكان المحليين لكميات من الحبوب وزيت الزيتون للمدن الليبية المجاورة، ولعل وادي بني وليد (وادي البلاد) اليوم وما يزخر به من عطاء نباتي من أشجار الزيتون والتين وغيرها، وقيام الحياة حوله على هيئة تجمعات مأهولة بالسكان، يعطي فكرة عما كانت عليه الحياة سابقاً في أودية بني وليد الجنوبية الجرداء وغير المأهولة حالياً. (ماتنغلي، 2009 م، ص 41).

4-التركيبة السكانية:

تشير المصادر التاريخية والأدبية الكلاسيكية التي تحدثت عن ديموغرافية منطقة طرابلس الى أن العديد من القبائل الليبية كانت تشغل اصقاع هذه المنطقة ومن أهمها قبائل النمامون، والجيتول، ولاغواتا (لواتة)، وقبائل المكاي؛ غير أن منطقة بني وليد كانت - وبحسب تقسيم مناطق انتشار هذه القبائل- تمثل منطقة استقرار قبيلة (المكاي) المكونة من اتحاد مجموعات قبلية متجانسة كانت تقطن بحسب عالمي الآثار (بيوفا - وما تينغلي) حوض وادي سوف الجين وزمزم ومنطقة وادي بني وليد بشكل عام، أي منطقة ما دون الصحراء وهي المنطقة التي تشغلها قبائل ورفلة حالياً، وهي قبائل كانت تعرف بالقبائل (الليبيفنيقيين) خلال الحقبة القرطاجية، أما خلال العصر الروماني فقد عرفت باسم قبائل (اليمتاتي) أو (الجنتلين) أي (سكان الحدود أو الوثنيين) ويصف المؤرخون القدامى قبائل المكاي بأنها أكثر القبائل عدداً في المنطقة.

وقد استمر وجودها خلال الحقبة الوندالية والعصر البيزنطي فكان لها حكم شبه ذاتي تحت إشراف قادة محليين من الجنود المزارعين الذين استقروا في حصون وبلدات زراعية رعوية عرفت باسم (الكونتينايريوم) (Amhimmid, 2025, p.339). ومع بداية الفتح العربي ورد ذكر قبائل لواتة وهوارة ونفوسة، غير أن قبيلة هوارة هي التي كانت تسيطر وتُسكن منطقة بني وليد.

وتؤكد المصادر التاريخية العربية هذا الأمر أيضاً حيث ذكرها البكري سنة 1068م في قوله: (ومن سالك من طرابلس إلى ودان، فإنه يسير في بلد هوارة... ومن قصر ابن ميمون ثلاثة أيام إلى صنم من حجارة مبني على ربة يسمى كرزة، ومن حواليه من قبائل البربر يقربون له القرابين، يستشفون به من أدوائهم وبه يتبركون..). (البكري، 1981م، ص132).

وعلى أية حال، فإن منطقة أودية بني وليد كانت مأهولة حتى القرن السابع الميلادي، وكان سكانها يمتنون الزراعة والرعي وهم أنفسهم بُنات و ورثت البنية المعمارية الهمة المتمثلة في القلاع الهضابية (Alhaj, 2025, p. 562) أو المزارع المحصنة (الكونتينايريوم) التي كانت تعتبر ملكيات الطبقة الغنية من السكان المحليين، والتي مع مرور الوقت تكونت حولها تجمعات سكانية عرفت بمجمعات القصور (هينز، د-ت) ، ص123 وما بعدها؛ (Alhaj, 2025, p. 562)، ومع الفتح الإسلامي والهجرات العربية حدث اختلاط بينهم وبين القبائل العربية، وتداخلت فيما بينها في تكوين قبلي عرف باسم قبائل ورفلة، وهي فرع من فروع هوارة البربرية الأصل، مع قبائل بني دباب من فروع قبيلتي بني سليم، وبني هلال العربية التي جاءت من الشرق، ومن المغرب في فترات لاحقة، حتى عرفت المنطقة باسم (بني وليد).

لقد ورد أقدم ذكر لهذه التسمية الأخيرة في إحدى الوثائق العربية المحلية المؤرخة في بداية القرن التاسع ال هجري، كما وردت التسمية أيضاً عند المؤرخ ابن إياس (ت 930هـ)⁽¹⁾، وكذلك عند المؤرخ مارمول كربخال (كربخال 1998 ج3، ص 118)، وعند المؤرخ الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) خلال الفترة ما بين (1516-1520م)، عند وصفه لجبال بني وليد التي تبعد عن طرابلس بحوالي مائة ميل (الوزان، 1983م، ج1، ص333) للمزيد حول التسمية انظر: (الزرقاني، 2017، ص23-24).

والواضح أن هذا التركيز الديموغرافي لسكان منطقة بني وليد قد انحصر تدريجياً من الأودية الجنوبية مثل وادي سوف الجين، وزمزم، وقرزة، وبزره- والأخير كان يضم كنيسة بيزنطية حولت لمسجد عرف باسم (السوق اللوطي) (Amhimmid, 2025, p.338)، مما يوحي بأنه آخر محطات الاستقرار في الأودية الجنوبية آنذاك- لينتقل استقرار السكان إلى الأودية الشمالية وتحديداً بوادي بني وليد أو المردوم، ليستقروا حول القصبات أو القصور الهضابية على هيئة قرى عنقودية التكوين، تنتشر على حافتي الوادي

(1) ان أقدم الوثائق العرفية التي وصلتنا تعرف محليا باسم(كاغظ بن فيجل) ويرجع تاريخها للعام(815هـ/1412م) وتجدر الإشارة الى ان الباحث قد تحصل على عدمن الوثائق التي تخص موضوع الدراسة ولكن نظرا لحساسية فحواها لم نقم بنشرها في سياق الدراسة وقوفا عند طلب مالكيها، كما ذكر ابن إياس أيضا التسمية في سياق ترجمته للشيوخ أبوتليس القيرواني خلال العهد الحفصي حيث ذكر أنه: (نزل مسلاتة ثم إلى بني وليد من نواحي طرابلس). انظر: ابن إياس، محمد بن أحمد (ت930هـ— بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، 1984م، ج5، ص130.0

منذ القرن الحادي عشر الميلادي، تضم تجمعات سكانية قبلية، ويعتقد ان قصر بن تليس كان أول تلك التمرکزات التي مثلت المركز العسكري والسياسي لقبائل ورفلة. (ماتينغلي، 2009، ص ص506-608). ومن المهم القول إن التغييرات الاجتماعية والثقافية كانت بطيئة وسطحية نسبياً حتى القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي⁽¹⁾، وبالإمكان اعتبار مساحة العشرين كيلومتراً الممتدة داخل بني وليد بقرائها الواقعة على جانبيه تعد آخر ما تبقى من المنظومة القديمة للتخوم الطرابلسية كظاهرة اقتصادية واجتماعية. (جودتشايد، 1999م، ص73).

والمواقع أن النصوص التاريخية الإسلامية المعروفة لا تعطي صورة واضحة عن تاريخ منطقة بني وليد خلال العصور الإسلامية المبكرة، لكن نستشف من خلالها أن قبيلة هواره هي التي كانت تقطن هذه المنطقة، أو أنها – مع توالي الهجرات العربية – أصبحت تحت رقابة أو سيطرة (طاعة – حضارة) القبائل العربية في وقت مبكر⁽²⁾، وهو ما يفسر استغلال القبائل العربية للعديد من الأبنية الأثرية بمنطقة بني وليد، حيث وجدت العديد من اللقى الأثرية الإسلامية في أطلال مدينة قرزة الأثرية، والكثير من النصوص الجصية العربية الإسلامية على جدران العديد من أبنية القصبات أو القصور الهضابية، كما حولت كنيسة وادي بزرة أيضاً إلى مسجد خلال العصر الإسلامي. (بروقان، 1983 م، ص ص37-39، Brogan and Smith 1984, p. 208).

ومهما يكن من الأمر فإن منطقة بني وليد خلال الفترة الإسلامية كان يجري عليها ما يجري على إقليم طرابلس، وربما كانت في كثير من الأزمنة تقع تحت سيطرة زعامات محلية لبعدها نسبياً عن مركز الحكم، وإذا تجاوزنا مراحل التاريخ الإسلامي وصولاً إلى بدايات الوجود العثماني في ليبيا منتصف القرن السادس عشر (1551)، نجد أن الوضع تطلب من دغوت باشا إرسال حملة عسكرية لإخضاع قبائل بني وليد، وقد تكرر الأمر في فترات مختلفة من العصر العثماني الأول (1551-1711م)، وخلال العهد القرمانلي (1711-1835م) وكذلك أوائل العهد العثماني الثاني (1835-1911م). (حسن الفقيه، 2001م، ج1، 2، ابن غلبون، 1967م، ص302، الأنصاري، (د.ت)، ص333، ميكاي، ص1961، ص63).

لقد كان لمدينة بني وليد دور مركزي في تاريخ البلاد الليبية نظراً لموقعها الاستراتيجي الهام، إذ تعتبر حلقة وصل تربط بين الساحل الليبي من جهة ومناطق الجنوب من جهة أخرى، مما جعلها منطقة عبور للقوافل التجارية، كما كان لمواردها الاقتصادية أهمية في دعم اقتصاد البلاد خاصة من حيث الموارد الزراعية والرعوية، فضلاً عن أهميتها السياسية. (جامي، 1974م، ص25).

والجدير بالإشارة أن مدينة بني وليد حظيت باهتمام العديد من الرحالة الأجانب الذين زاروها منذ بدايات القرن التاسع عشر، حيث سجلوا ملاحظات مهمة حول أهميتها وطبيعة عيش سكانها، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الرحالة فرنسيس ليون (1818م) وغيرهارد رولفس (1869م)، ودي ماتوزيو (1901م)، وغيرهم. (لايون، 1993م، ص636، 37، 38، رولفس، 2002م، ص132، ماتوزيو، 2002م، ص ص37 وما بعدها).

المحور الثاني: تاريخ زراعة الزيتون ومعاصرها بمدينة بني وليد:

1-تقديم تاريخي عن زراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم :

(1) إن تاريخ المدينة خلال الفترة الإسلامية يشوبه نوع من الغموض نظراً لسكوت المصادر التاريخية الإسلامية عن ذكر هذه المنطقة، فيما عدا الإشارة لخصوبة وادي سوف الجين. وربما يرجع ذلك إلى تركيز العرب الفاتحين، وكذلك المؤرخين العرب، على ما كان يحدث في الحواضر الإسلامية الكبرى المفتوحة بالمناطق الساحلية الاستراتيجية الواقعة على خط الفتوحات الأهلة بالسكان، ولم يعيروا اهتمامهم لذكر مناطق الوديان الهامشية أو مناطق القصور بوادي بني وليد، إلا في سياق تبعيتها لمدينة طرابلس، كونها حاضرة الغرب الليبي الإسلامي آنذاك. حول ذكر خصوبة وادي سوف الجين: البكري، ابن عبدالله، المصدر السابق، ص89، الحموي، ياقوت بن عبدالله (626)، معجم البلدان، تحقيق: محمد العلامي، بيروت، 1987م، ج4، ص911.

(2) يرد القول بأن قبائل هواره تحت خفارة أو طاعة بني دباب في الكثير من المصادر التاريخية والأدبية العربية مما يعطي فكرة حول التمازج الذي حصل بينهم. انظر: الشريف الإدريسي (ت548هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الجزائر، 1957م، ص67، ابن سعيد، علي أبو الحسن (685هـ)، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان قرنيط، تطوان، 1985م، ص80، ابن خلدون، عبدالرحمن (808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب، بيروت، 1987م، ج4، ص966.

لعله من المفيد الحديث أولاً عن تاريخ ظهور شجرة الزيتون في بلاد المغرب القديم بصفة عامة حيث برزت جملة من الفرضيات العلمية التي تتناول أصل ظهور شجرة الزيتون في بلاد المغرب القديم، فمنهم من يرى أنها انتقلت من الجزء الشرقي من حوض المتوسط وتحديداً من الساحل الفينيقي (بلاد الشام وفلسطين الحالية)، حيث نقلها الفينيقيون إلى الساحل الغربي للمتوسط خلال الألف الثانية قبل الميلاد؛ وهناك من يرى أن أصلها يعود إلى جبال جنوب غرب آسيا؛ ومنهم من يرى أن أصلها يعود إلى جزيرة كريت وجزر بحر إيجه وآسيا الصغرى، ومنها انتقلت إلى بلاد الشام ثم إلى مصر. (1)

ومهما يكن من الأمر فقد كرم الله عز وجل هذه الشجرة ووصفها بأنها مباركة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ الزُّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تَنُورُ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور، الآية 35)، وربما يفهم من ذلك أن هذه الشجرة لاشرقية ولا غربية أي أنها كانت من الأشجار قديمة الوجود على هذه الكوكب وهي من نعم الله على الإنسان، ولكن المؤكد علمياً أنها من الأشجار التي كانت موجودة في منطقة حوض البحر المتوسط تحديداً، وهي ذات أصل محلي في بلاد المغرب القديم، ولكن القرطاجيين عملوا على توسيع غرسها وإنتاجها وتطوير أنواعها. (كامبس، 2014م، ج 1).

وبهذا الخصوص يؤكد (قزال) أن الليبيين القدماء عرفوا شجرة الزيتون قبل مجيء الفينيقيين، غير أن للفينيقيين الفضل في تطويره سواء بتطعيم أشجار الزيتون البرية بأغصان من أنواع جيدة من الزيتون أو بزراعة غراس ممتازة منها جلبوها معهم من موطنهم بالساحل الشرقي للمتوسط، هذا فضلاً عن بنائهم للمعاصر لاستخلاص زيت الزيتون. (عون، 2012م، ص 230). ولا يزال يعرف الزيتون البري محلياً في بلاد المغرب باسم (أزبوج)، أما الزيتون غير البري فيعرف باسم (تازمورت)، وهي تسمية محلية أمازيغية. (كدير، 2024م، ص 24).

لقد عرفت قبائل التحنو في شرق ليبيا الحالية زراعة الزيتون وإنتاج زيتته حيث تشير النصوص الفرعونية أنهم كانوا يقدمونه كضريبة ولاء لفراعنة مصر في عهد مرنبتاح (حسن، 2001م، ج 7، ص 33)، كما عرفت أيضاً قبائل النمامون الليبية زراعة الزيتون في سرت وقوريني، وكان القائد القرطاجي حنبعل يأمر جنوده في أوقات الراحة بزراعة الزيتون (كدير، 2004م، ص 26)، وشجع الملك النوميدي ماسينيسا (203 ق.م) زراعة الزيتون، وكذلك خلفه ميكبسارو، يوغرطة الذي وسع زراعته في إقليم المدن الثلاث وضواحيها بعد أن أصبح حليفاً للرومان عام (111 ق.م)، بحيث مثل انتشار زراعة الزيتون أحد ميزات إقليم المدن الثلاث نظراً لقدرتها على تحمل الرياح الصحراوية القوية ومقاومة الجفاف لمدة طويلة الذي كثيراً ما كان يسود مناطق ظهير إقليم طرابلس. (هينز، د-ت)، ص.ص 17-20، عون، 2012م، ص 23).

2- زراعة الزيتون ومعاصره في إقليم طرابلس (منطقة ما دون الصحراء)، خلال العهد الروماني:

تؤكد الدراسات الأثرية إن القرطاجيين قد نقلوا خبرتهم في الزراعة المكثفة إلى بلاد المغرب القديم وخاصة زراعة أشجار الزيتون للمناطق الساحلية تحديداً غير أن الرومان قد طوروا هذا الأمر ليصل حتى وديان منطقة ما دون الصحراء (الليمتاني) في إقليم طرابلس، حتى عرف إقليم طرابلس آنذاك بكونه مقاطعة زيت الزيتون، الذي توسع إنتاجه من الاكتفاء الذاتي إلى مستوى التسويق. (ماتينغلي، 2009م، ص.ص 343-345)، وكل ذلك جاء بسبب الخطط والتوظيف الفاعل للمصادر المائية المتاحة في المناطق الساحلية التي قد تقل فيها كميات تساقط الأمطار، فنظام المزارع المحصنة (الكتناريوم) مثل الآلية الناجعة في تطوير الزراعة بشكل عام و زراعة الزيتون على وجه الخصوص في هذا الإقليم، وجعل منه قاعدة

(1) حول مناقشة أصل شجرة الزيتون وظهورها في شمال إفريقيا انظر: محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، الجزائر، 1995م، ص 499/نادية عون، الزراعة الشجرية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني (146ق.م-430م) الزيتون والكروم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2012م، ص.ص 23-235/عمار بونقاب، (زراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية دراسة اقتصادية تاريخية)، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، مخبر دراسات التاريخ والثقافة والمجتمع، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2025م، العدد 2، ص.ص 485-486.

أساسية للزراعة الطرابلسية، فشجرة الزيتون شديدة القدرة على الاحتمال والتأقلم في مثل هذه البيئة القاحلة. (ماتينغلي، 2009 م، صص 346).

ومما يؤكد غزارة إنتاجيته حجم الضريبة السنوية التي فرضها يوليوس قيصر على سكان مدينة لبدية المقدرة بثلاثة ملايين رطل من زيت الزيتون - أي ما يعادل إنتاج مليون شجرة زيتون (هينز، دت)، (ص16). والتي كانت تقدم سابقاً كهدية للإمبراطور سبتيموس سيفيروس، ثم عادت كضريبة زمن قسطنطين (انديشة، 1993م، ص99)، ولعل في هذا مايقدم دليلاً بينا على مدى انتشار وضخامة زراعة الزيتون في إقليم طرابلس آنذاك.

ولما كانت مدينة بني وليد إحدى مناطق إقليم طرابلس قديماً، فإن زراعة الزيتون حظيت باهتمام خاص - كونها إحدى النواحي التابعة لمدينة لبدية الكبرى- وكانت قد وصل إنتاجها لأسواق لبدية وساهمت في رفع اقتصاد الإقليم والمجتمع المحلي، ويظهر ذلك جلياً من خلال ضخامة المخلفات والآثار والأبنية المزخرفة التي شهدتها المدينة في أودية المنطقة، إضافة إلى كثرة أبنية معاصر الزيتون الأثرية المنتشرة ضمن القصور الهضابية في العديد من أودية المدينة مثل وادي سوف الجين وزمزم والمردوم و وادي العمود، وهو ما يؤكد تجاوز إنتاجها من الزيت مستوى الكفاف ليصل إلى مستوى التسويق ضمن الناتج الذي كان يُصدره إقليم طرابلس آنذاك. (ماتينغلي، 2009 م، صص 370-372).

الواقع أن نماذج أبنية معاصر الزيتون الأثرية ما بين القرنين (2) و(4م) - المكتشفة في منطقة وادي بني وليد - غير واضحة المعالم، وهي ما تزال تحتاج إلى دراسة أثرية وافية، لكن من المؤكد أنها لا تختلف اختلافاً كبيراً عن نظيراتها في أودية منطقة ترهونة مثل معاصر (هنشير سيدي حمدان) بمنطقة الداوون (المخطط: 1) التي تعد من أقدم مزارع الزيتون المكتشفة من القرن (2م) (نامو، 2006م، ص112)، وقد قُدر إنتاج معاصرها بنحو 100000 لتر في سنوات الوفرة (الميار، 2001م، ص168).

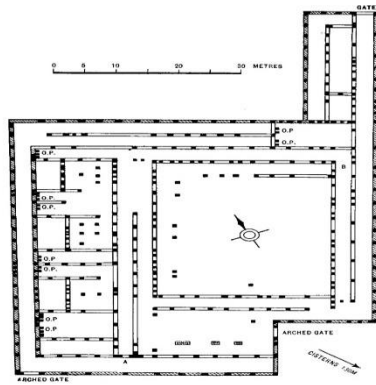
التصميم النموذجي لمعاصر الزيتون الطرابلسية عبارة عن مبنى يضم حجرة هرس الزيتون، التي كانت تتم بدولابٍ مجرّ ضخم يدور فوق قاعدة⁽¹⁾، وحجرة المكبس وقوامها رافعتان حجرتان عموديتان متوازيتان يثبت فيهما أحد طرفي عارضة خشبية صلبة طويلة يتوسطها مكان الكبس حيث توضع تحته سلال مستديرة معبأة بعجينة الزيتون. (الشكل: 1)

وتتم عملية الكبس بتحريك الطرف الآخر من العارضة الخشبية نزولاً بواسطة حبال وبكرة خشبية مثبتة إلى ثقل مجرى، وباستدارة البكرة يُضغط الجذع على السلال ليُستخلص منه الزيت باتجاه حوض التجميع، وكان يقوم بهذا العمل العبيد أو الرعاة (البرغوثي، 1971م، ص596).

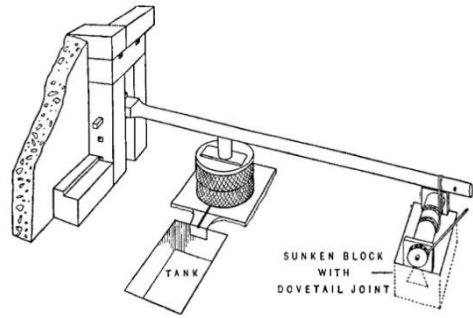
ليس من المفاجئ أن يتم اختيار زراعة الزيتون كدعامة أساسية للاقتصاد الزراعي بإقليم طرابلس، خاصة في منطقة ما دون الصحراء، ذلك لقدرة شجرة الزيتون على الاحتمال والتأقلم مع البيئة شبه الصحراوية، فهي لا تحتاج بعد نشوئها إلا إلى القليل من الجهد الذي يقتصر على تقليمها وجنيها (ماتينغلي، 2009 م، ص346)، وهي تعطي محصولاً وافراً عندما تتوفر لها الظروف والعناصر الطبيعية مثل وفرة المياه والتربة الجيرية والرملية وكميات مناسبة من الأملاح المعدنية (نامو، 2006 م، ص97).

إن أهم منتجات أشجار الزيتون هو الزيت الذي يُعد ومنذ القدم غذاءً أساسياً، إضافة لكونه وقوداً للإضاءة والأساس للعديد من الأدوية وصناعة الصابون والزيوت الجلدية ومواد التجميل (ماتينغلي، 2009 م، ص344)، وعلى الرغم من أن الزيت الإفريقي الطرابلسي يعتبر غير ذي جودة عالية في مجال الطهي، إلا أنه كان يلقي رواجاً كبيراً لاستعماله في الحمامات والطقوس الجنائزية والإضاءة في روما، مما يعطي فكرة عن اتساع نطاق زراعة الزيتون وإنتاج زيتيه حتى قبل العهد الروماني (هينز، 1965 ص39).

(1) الجدير ذكره أن كل مخططات أبنية المعاصر التي أرفقها علماء الآثار مثل هينز وجودشايلد وما تينغلي وحتى دراسة المسح الأثري لليونسكو بإشراف باركروجنز لم تشتمل على رسم توضيح لآلية هرس الزيتون كمرحلة أساسية في عملية إنتاج الزيت وكعنصر أساسي في تصميم المعاصر المعماري والوظيفي.



(المخطط:1) معصرة هنشير سيدي حمدان
، 1965، ص 144 Haynes المصدر:



(الشكل:1) نموذج من المعاصر الرومانية
، 1965، ص 142 Haynes المصدر:

3-زراعة الزيتون في منطقة بني وليد من العصر البيزنطي إلى العهود العثمانية:

مع الفوضى التي لحقت بالإمبراطورية الرومانية في إقليم طرابلس بعد العصر السيفيري، وعلى الرغم من الإصلاحات التي قام بها الأباطرة اللاحقون مثل دقلديانوس وأغسطس، إلا أن الأوضاع تدهورت بفعل غزو قبائل (الأوسترياني) المحلية للبدية وغيرها. ومن جهة أخرى ظل أصحاب المزارع المحصنة من الليمثاني في حالة من الاستقرار الاقتصادي بما توفره لهم منتجاتهم الزراعية، خاصة من الزيت الذي تعدوا فيه مرحلة الاكتفاء الذاتي إلى مرحلة التسويق، ويظهر انتعاشهم الاقتصادي من خلال فخامة عمائرهم الجنائزية (هينز، 1965، ص 49).

لا توجد أدلة قاطعة على اهتمام البيزنطيين بإحياء المنظومة الدفاعية الزراعية (الكونتينايريوم) التي أنشأها الرومان في منطقة النخوم الطرابلسية، ولذا عادت حياة السكان لسابق عهدها حيث بدأ يتفكك النظام الدفاعي بسبب الاضطرابات القبلية، والزلازل التي ضربت شمال أفريقيا والتي كان أشدها زلزال عام (365م)، إضافة إلى غزو الوندال في القرن (6م)، إضافة لموجة الجفاف التي شهدتها المناطق شبه الصحراوية، كل ذلك أثر بحلول القرن (7م) على البيئة الزراعية في المنطقة، (حامد، 1997، ص 181).

ومع دخول العرب الفاتحين وجدوا البلاد تعاني من مشاكل سياسية واقتصادية مثلت ملامح الاضمحلال الحضاري في المناطق الساحلية ومنطقة مادون الصحراء، وإبان ذلك فإن المصادر التاريخية العربية لا تسعفنا لرسم صورة دقيقة للوضوح عن وضع البلاد آنذاك؛ غير أنها تشير إلى استمرار الزراعة بشكل نسبي في منطقة ما دون الصحراء في بدايات الفترة الإسلامية المبكرة، اتسمت باستمرار السكان في تقليد الطرق البدائية القديمة في الزراعة، الأمر الذي خلق استقراراً اقتصادياً عوّض فيه نقص الزراعة بالاهتمام بالرعي. (بروجن، 1983، ص 39).

لكن من جهة أخرى فإن سياق ما تذكره بعض المصادر التاريخية العربية يؤكد حقيقة مهمة توهي باستمرار (إن لم يك ازدهار) الزراعة ونشاطاتها في بلدان المغرب، حيث يذكر ابن الرقيق القيرواني وابن خلدون: أن بلاد المغرب: (من طرابلس إلى طنجة كانت ظلاً واحداً وقرى متصلة عامرة فأخربت الكاهنة جميع ذلك..). (القيرواني، 1990، ص 81، ابن خلدون، 1987، ج 3، ص 215)، وهو ما يؤكد أن الصراع العربي مع الكاهنة البربرية، التي أمرت أتباعها بقطع الأشجار وهدم العمران في إفريقية آنذاك، قد أدى إلى تدهور واقع الحياة الزراعية في بلاد المغرب الإسلامي.

بيدا ان اليعقوبي في زمن لاحق يشير إلى أن: (خراج برقة زمن هارون الرشيد من الزراعة خاصة شجر الزيتون الذي كان يكثر فيها بلغ حوالي أربعة وعشرين ألف دينار، إضافة إلى الأعشار في المواقع التي لا زيتون فيها..). (اليعقوبي 1892م، ص 344)، ويقول الإدريسي عن مدينة لبدية بأنه (كانت تنتشر حولها

مزارع الزيتون، ويقال إن زيتها كان يستخرج في وقته). (الإدريسي، 1998م، ص98) وهو ما يؤكد تعافي النشاط الزراعي من انتكاسته السابقة إلى حد ما.

لقد حاول البعض ربط تدهور الزراعة في إقليم طرابلس ومنطقة المغرب الإسلامي بشكل عام بالفتح الإسلامي وما تلاه من هجرات القبائل العربية وما تبعها من حروب مع السكان المحليين، وهو قول غير دقيق، إذ إن بعض الدراسات أكدت حدوث موجة من الجفاف بالمنطقة خلال تلك الفترة (انديشة، 1993 م، ص30)، أو على الأقل حدوث تذبذب ملحوظ في نسبة تساقط الأمطار على مناطق ما دون الصحراء، مما دفع السكان لهجرة الوديان الجنوبية- التي أمست تُطرق خلال موسم زراعة الحبوب أو للرعي- والاستقرار في الوديان الشمالية حول حوض وادي بني وليد (وادي البلاد)، الذي تركزت الزراعة فيه على أشجار الزيتون بالدرجة الأساسية، والقليل من أشجار النخيل والتين، ليظل الأمر كذلك حتى العهد العثماني. ويبدو أن نشاط زراعة الزيتون وإنتاج زيتته لم يشهد تقدماً ملحوظاً في منطقة بني وليد العهد العثماني، بل بقيت على حالها مقتصرَةً على ما تم زراعته بوادي البلاد منذ القدم وخلال الفترات اللاحقة من قبل السكان ويتضح ذلك من خلال ما يرد في الوثائق العرفية المحلية حيث نجد أن الزيتون الواحدة قد تقسم إلى حصص عديدة بين أفراد الأسر الموسعة والممتدة وأحياناً بين أشخاص من قبائل مختلفة إما بالإرث أو بالمشتري أو بالمغارة. وتمدنا الوثائق العرفية المحلية بالمسميات المحلية لأنواع من شجر الزيتون مثل (الراسلي، والقرقاشي، والخادمي (الكركوبي) والشماللي)، ولعل تعدد هذه الأنواع له دلالة واضحة على مدى اهتمام سكان المدينة بهذه الشجرة ومدى اعتمادهم عليها

يغلب التذبذب في إنتاج أشجار الزيتون في مدينة بني وليد بحسب مواسم كمية هطول المطر فهناك أعوام فقيرة المنتوج وأخرى من الوفرة بحيث يتمكن السكان من بيع فائض منتوجهم محلياً، وبهذا الخصوص يذكر الرحالة (نختال) أن زيت وادي بني وليد كان مرغوباً في كافة أنحاء ولاية طرابلس (Nachtigal, 1879, Vol.1, P95). وفي السياق نفسه يشير الرحالة (النقيب لايون)، إلى أن بني وليد كانت تشتهر بإنتاج كميات هائلة من زيت الزيتون رغم أن الأهالي قد تخلو عن زراعتها بسبب الضرائب الكبيرة التي كانت تفرض عليها من الحاكم مع بدايات القرن التاسع عشر. (لايون، 1993، ص37)، كما يشير الرحالة الفرنسي (ماتويزيو) إلى أن سكان وادي ورفلة حولوها إلى حقول من الزيتون والشعير وهم يقومون بالعناية اللازمة بهذين النوعين من المحاصيل وأن سكان طرابلس دائماً ما يمتدحون خصوبة هذا المكان. (ماتويزيو، 2002 م، ص88). إن المتجول في ربوع وادي بني وليد لا بد أن يشاهد أشجار عتيقة ضخمة يصل أقطار جذوع بعضها لحوالي (2م) مما يؤكد قدمها؛ إذ قد تتناهى أعمار الكثير منها الأربعمائة عام أو ربما أكثر من ذلك، وتصف الوثائق هذه الأشجار بصيغة (شجرة زيتون راسخة) أي أنها راسخة في أرضها ضخامةً وقدماً. (الشكل:2)

وبالحديث عن الضرائب التي كانت تفرض على شجر الزيتون فقد كان التزام السكان بها مرتبطاً بمدى قوة الدولة أو وضعها فمثلاً تشير المصادر التاريخية أن محمد الساقرلي (1632م-1042هـ) هو أول من أعاد فرض الضرائب على الغروس فكان يدفع عن أشجار الزيتون قبل ذلك ضريبة بمقدار (بيضة دجاج واحدة) في السنة فأصبح يدفع عنها عشرون بارة سنوياً، (فيرو، 1994 م، صص145-146، الأنصاري، د-ت)، ومن المؤكد أنه ثمة العديد من العوامل السلبية الأخرى التي أثرت على زراعة الزيتون بوادي بني وليد منها مواسم الجفاف الشديدة والرياح الجنوبية (القبلي) والآفات الزراعية الحرائق التي قد تحدث، فضلاً عن أعمال التخريب التي شهدتها المدينة خلال فترات الاضطرابات السياسية في البلاد، ولعل من أبرزها ما ذكره (الفقيه حسن) في يومياته عن قيام جيش يوسف باشا القرمانلي (المحلة) عام (1831هـ/1247م) بقطع أشجار النخيل والزيتون في وادي بني وليد (حسن الفقيه، 2001 م، ج1، ص563)، وهو ما جاء في وصف يوسف باشا نفسه في رسالته لوزيره بيت المال بقوله: (وشرعوا العساكر في تقطيع الأشجار وتعديم الآبار من الفندان إلى دفع الوادي لا قعدت زيتونة ولا حوش قائم البناء ... (ميكاي، 1961، ص64).



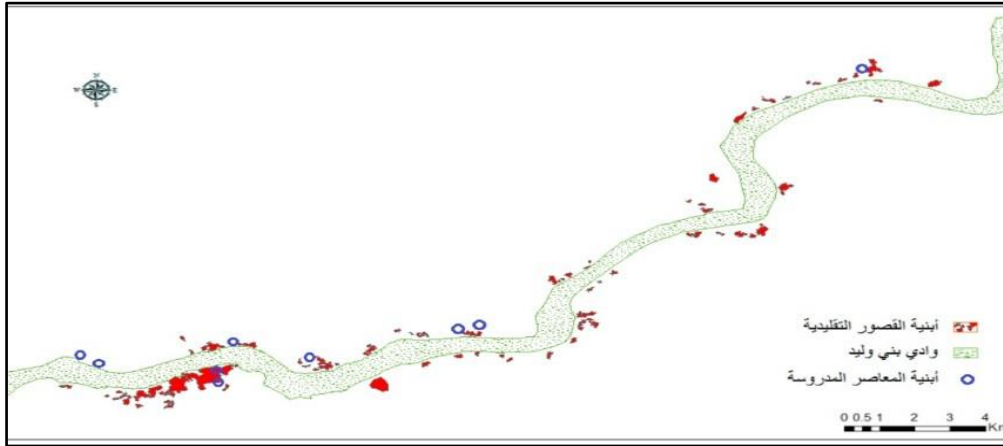
لكن سجلات ضريبة الأعشار بمنطقة بني وليد تؤكد أن إنتاج شجر الزيتون ظل جيداً، مما يعكس استمرار اهتمام السكان بزراعته أو المحافظة على ما تبقى منه لتحقيق كفافهم على أقل تقدير، والواقع أن شجرة الزيتون في ليبيا بشكل عام لم تلق الاهتمام الكافي إبان العصر العثماني الثاني إذ تدنى إنتاجها لدرجة أن البلاد باتت تستورد الزيت من تونس وكريت في العديد من السنوات؛ غير أن شي من الاهتمام يظهر عند بعض الولاة العثمانيين ومنهم الوالي حافظ محمد (1900-1902) الذي حرص الأهالي، في مراسيمه على الاهتمام بشجرة الزيتون وأمرهم بزراعة المزيد منها، وفرض غرامة مالية على كل مزارع يقطع شجرة زيتون من أرضه، (ناجي ونوري، 1973م، ص34، الدجاني، 1971م، ص ص881-882، بن موسى، 1988م، ص.ص121-123) وتكرر هذا الاهتمام خلال عصر الباشا حسن حسني (1902-1904) الذي وجه رسالة إلى قائمقام (بني وليد) (16 يناير 1902) يأمره فيها ببحث أهالي المدينة على حفر الآبار بسهولة المدينة وفي وادي البلاد (بني وليد) وإجبارهم على غرس ما بين 30-40 ألف من شجرة الزيتون، الأمر الذي حظي بقبول السكان، (امنيسي، 2017م، ص.ص86-89).

ولا شك في أن ترجمة مثل هذه الإجراءات ظهرت من خلال التوسع في غرس هذه الأشجار نظراً لملاءمتها للبيئة المناخية وطبيعة التربة بالمدينة التي تتميز بكفائتها العالية على تخزين المياه الجوفية، لأنها تتكون من طبقة علوية رملية وطينية في حين الطبقة السفلية مكونة من صخور بازلتية من الحمأ، تمنع تشرب مياه الأمطار إلى باطن الأرض، وهو ما يجعل الأرض تحتفظ بنسبة كبيرة من الرطوبة تستمر حتى في مواسم الجفاف. (نامو، 2005م، ص98).

4- التوزيع المكاني لأبنية معاصر الزيتون التقليدية في مدينة بني وليد.

يرتبط التوزيع المكاني لأبنية المعاصر التقليدية بمدينة بني وليد بمناطق توزع القرى السكنية التقليدية (القصور) وبطبيعة توزيع ملكية أراضي سكان القرى، وأماكن كثافة أشجار الزيتون في نطاق امتداد أراضي ملكياتهم بوادي بني وليد. (الشدولي، 2021م، العدد الأول، ص155).

وتنتشر أبنية المعاصر في القرى (القصور) التقليدية التي تكتنف حافتي وادي بني وليد (جلهات الوادي)، حيث يضم كل قصر تقريباً معصرة أو اثنتين، وقد تبين من خلال الدراسة الميدانية أن المعمار المحلي قد عمد إلى اختيار المواقع المناسبة لها ضمن البنية القروية للقصور، فهي إما أن تكون ضمن كتلة عمارة القرية (القصر)، فهي إما متصلة بمتجاورات سكنية أو في أحد أطرافه المطل على حافة الوادي، وإما أن تكون مشيدة بطريقة تكاد تكون منفردة عند قدم الجبل (صد الجبل) بالقرب من ضفة الوادي، وذلك لتسهيل وصول غلة الزيتون بشكل يومي للمعصرة، ومن الملاحظ أن معظم المعاصر المبنية داخل نظام القرى غالباً ما تكون متصلة بمسكن مالكها، وبطبيعة الحال فإن إنشاء معصرة يعد مشروعاً اقتصادياً مدرراً للربح، وبالتالي قد يمتلكها شخص واحد من سكان القصر، وأحياناً تكون ذات ملكية مشتركة حيث يقوم الملاك معاً بتشغيل عجلة إنتاجها. (الشكل:3).



الواقع انه لا توجد إحصائية دقيقة لعدد المعاصر التقليدية بمدينة بني وليد، لكن من خلال الدراسة الميدانية تمكنا من الوقوف على قرابة (40) معصرة⁽¹⁾، أغلبها ما زال يحتفظ بعناصره المعمارية وبعضها الآخر يكاد يكون مندثرًا بفعل التقادم والإهمال، ومما يؤسف عليه أنه جرى إزالة العديد منها بفعل التوسع العمراني الحديث وقد تم تحديد مواقعها الأصلية. تتراوح تواريخ إنشاء أبنية معاصر الزيتون التقليدية الباقية بمدينة بني وليد ما بين أوائل القرن السابع عشر وبدايات القرن العشرين، بحسب ما تؤكد النصوص التاريخية المنقذة بالجص القلبي على بواطن عقود بعضها، أو بمقارنتها بنصوص مشابهة وجدت بأبنية البيوت أو المساجد المجاورة لها.

إن المظهر العام لأبنية المعاصر التقليدية يتسم بالبساطة، فهي عبارة عن كتل بنائية متواضعة الشكل غير منتظمة الزوايا، استعملت فيها مواد وطرق بناء محلية، وتصميمها الداخلي لا يختلف عما هو شائع في الكثير من المدن الليبية الأخرى، بل وبلدان المغرب الإسلامي (للاستزادة حول المعاصر التقليدية بالمغرب الاوسط أنظر: عزوق، ص ص185-195). وبهذا الخصوص يرى كاميس أن نمط تصميم معاصر الزيتون القديمة قد سار بوثيرة واحدة على شكل سلسلة غير منقطعة في سلم التطور التقني لآلية استخراج زيت الزيتون منذ أقدم العصور، والفارق في ذلك لا يتعدى طبيعة حجم المبنى وعدد معداته و آلاته المرتبط بكمية إنتاج المحصول أو موقعه ضمن المدن أو في القرى الريفية أو بالقرب من المزارع المنتجة. (كاميس، 2014، م، ص63)، وبالتالي فإن تصميم المعاصر بمدينة بني وليد يعكس تقاليد معمارية ثابتة وعريقة، عراقة وقدم زراعة شجرة الزيتون المباركة في هذه البلاد.

ولهذا لا غرابة في ان السكان المحليون بالمدينة قد استخدموا آلة بدائية لهرس حبوب الزيتون واستخلاص الزيت منها بنفس الطريقة البدائية الضاربة في القدم لإنتاج الزيت المعد للاستخدام اليومي، وتعرف هذه الآلة باسم (القرقابة)، وقوامها: تجويف صخري مقعر ينحت بأرضية صخرية إما بأحد زوايا البيت أو بإحدى الكتل الصخرية بطرف من القرية مشرف على الوادي، تتوسطه قطعة حرة ملساء من حجر البازلت منحوتة بشكل أهليجي الاستدارة قطرها لا يزيد عن 60سم، يتم تحريكها باليدين إلى الأمام وإلى الخلف بإيقاع رتيب متكرر، لتقوم بهرس حبوب الزيتون التي توضع تحتها حتى تتحول إلى مخلوط على شكل

(1) يقدر الباحث ضو الشندولي عدد معاصر الزيتون القديمة بالمدينة بقرابة (70) معصرة . ضو أحمد الشندولي، المرجع السابق، ص165.

عجين متماسك القوام، حيث يوضع في قماش ويضاف إليه القليل من الماء الدافئ ويعصر باليدين حتى يستخلص منه الزيت بعد فصله عن الماء. (الشندولي، 2021 م، ص.ص 156-157). (الشكل:4).



الشكل 4: معصر الزيتون البدائية (القرقابة)
تصوير الباحث

أما تصميم أبنية المعاصر التقليدية بالمدينة، فهي لا تختلف من حيث طرازها وتقنية عملها عن سالفاتها من العصور القديمة. غير أنها تتسم بسمات محلية تعكس بعض ابتكارات المعمار المحلي الذي كان مدركاً لظروف بيئته، وتتألف عمارة المعصرة التقليدية من مبنى مربع أو مستطيل الشكل يمكن تقسيمه بشكل عام إلى ثلاثة أقسام، وهي وحدات بنائية ووظيفية في نفس الوقت، أولها: ردهة المدخل، وتضم أماكن أو حُجيرات تخزين محصول الزيتون (الهوري أو المزاريف) التي يوضع فيها بشكل مؤقت بحسب مالكة وموعد عصر الغلة وغالباً ما تكون مدمجة في جدران مبنى المعصرة، أما القسم الثاني فيمثل القسم الرئيسي ونواة عمارة المبنى الأساسية لأنها تتوسط كتلة مبنى المعصرة وتتمثل في حجرة آلة هرس الزيتون (القرقابة)، أما القسم الثالث فيتمثل في الحجرة التي تضم آلة المكبس وتعد من الناحية التقنية المرحلة الأخيرة من مراحل إنتاج الزيت، وقد تضم المعصرة الواحدة أكثر من مكبس واحد بقصد زيادة الإنتاجية.

المحور الثالث: الدراسة الوصفية لنماذج من أبنية معاصر الزيوت التقليدية بمدينة بني وليد:

قبل الشروع في الدراسة الوصفية، تجدر الإشارة إلى أن كل أبنية المعاصر التي شملتها الدراسة الميدانية تتشابه من حيث التصميم والمشتلات الرئيسية، غير أن بعضها تميز بفوارق بسيطة من حيث المساحة وعدد مكابسها، فضلاً عن أن بعضها قد تعرض لترميمات لاحقة عن تاريخ بنائها الأصلي. والجدير بالملاحظة أيضاً أن كل المعاصر التقليدية بالمدينة مشيدة على نفقة ملاكها من الأهالي، وبالتالي يمكن القول بأن الحكومات العثمانية المتعاقبة لم تشيد أية أبنية أميرية من هذا النوع في مدينة بني وليد، بل وأغلب الظن في كامل البلاد الليبية. وفيما يلي دراسة لبعض نماذج من أبنية معاصر الزيتون التقليدية بمدينة بني وليد.

1- معصرة قصر الجداري:

الموقع وتاريخ الإنشاء: تقع المعصرة في قصر قبيلة الجداري على الضفة الشمالية من وادي بني وليد، وتحديداً بالطرف الشرقي بمنطقة مرتفعة من قرية الجداري حيث يحدها من الشمال والغرب سفح الجبال وأحد البيوت السكنية، أما الجهة الشرقية فتشرف على منحدر صخري (شعبة). ويرجع تاريخ بناء المعصرة للعام (1103 هـ / 1691م)، وهو ما يؤكد النص التاريخي المدون بواسطة الجص القلبي على باطن أحد العقود بالمبنى⁽¹⁾.

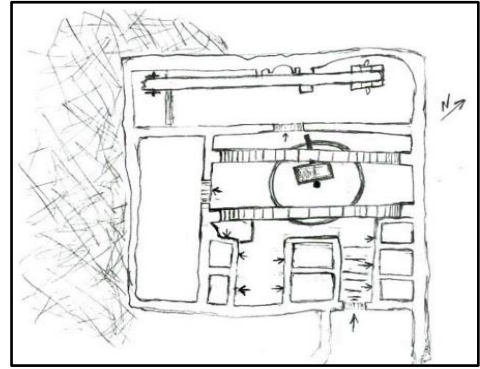
الكتلة البنائية والتصميم: تتسم الكتلة البنائية للمعصرة البالغ بأبعادها (13م × 13.50م) بالبساطة في المظهر وعدم انتظام الزوايا وعدم وجود فتحات مظلة من خلالها باستثناء مدخلها الرئيسي، والملاحظ أن

(1) لم يتعرف الباحث على صاحب أو باني هذه المعصرة بالرغم من محاولة الوصول لذلك من خلال سؤال كبار السن من السكان المحليين.

معظم كتلة المبنى مندمجة في سفح الجبل من جهته الغربية وجانب من ضلعه الشمالي، والمؤكد أن المعمار المحلي قد تعمد اعتماد هذا الترتيب المعماري بقصد تدعيم كتلة المبنى، خاصة وأن نظام تقسيم الفراغات الداخلية لأبنية المعاصر معتمد بشكل أساسي على استخدام العقود التي تولد قوة دفع أفقي يمتد أثرها إلى جدران المبنى، إضافة إلى ما قد تسببه حركة دولا ب هرس الزيتون الضخم (القرقابة) من اهتزازات قد تؤدي بمرور الوقت إلى تخلخل في الجدران.

يتم الولوج إلى المعصرة من خلال مدخل صغير (68سم×1.30م) وحيد متوج يعقد حدودي، يفتح بالطرف الغربي للجدار الجنوبي، يقضي بدوره إلى ممر مستطيل (5م×4م) يضم جداره على يمين الداخل ثلاث (أهراء - مزاريف)⁽¹⁾، وهي عبارة عن حُجيرات شاقولية التصميم بعضها بقطاع مربع وبعضها مستطيل، لكل واحدة منها فتحة مربعة تتموضع أسفل جدارها، يخزن فيها محصول الزيتون بشكل مؤقت لحين هرسه وعصره، وعملية خزن الزيتون تمثل المرحلة الأولى من عملية إنتاج الزيت.

يفضي الممر إلى مباشرة للقسم الرئيسي من المعصرة المتمثل في حجرة هرس الزيتون، وهي مستطيلة الشكل (4.95×3م) تضم بوسطها آلة هرس حبوب الزيتون (القرقابة) التي تتألف من دكة مستديرة الشكل ارتفاعها (1.85م) وقطرها (2.50م) مبنية من الحجارة تعرف محلياً باسم (الفرش) أكسيت تقاصيلها بالمونة المحلية (الشهبية)⁽²⁾، لها حافة علوية بار تفاع (4سم)، يتوسطها عمود خشبي (الصاري) طوله (2م) مثبت من الأعلى إلى جائزة خشبية حيث يخترقها من خلال فجوة فيها. (المخطط: 2)



(الشكل:5) معصرة قصر الجداري / تصوير الباحث.

(المخطط: 2) مخطط معصرة قصر الجداري
المصدر: إعداد الباحث

ويمثل عمود (الصاري) محور دوران الدولا ب الحجري الضخم (الخرزة) المخصص لهرس حب الزيتون وهو منحوت من الحجر البازلتي الأسود، يبلغ قطره (86سم) وسمكه (50سم)، تتموضع الخرزة فوق الدكة (الفرش) وهي منحوتة من الحجر البازلتي الأسود، ويتم تدوير الدولا ب الحجري (الخرزة) بواسطة عمود خشبي أفقي يخترق فتحة في محور الخرزة ليتصل طرفه الداخلي بالعمود المحوري، فيما يبرز طرفه الآخر من جهة حافة الدكة ليتم دفع الخرزة للدوران في فلكها أعلى الدكة، لكي يتم هرس حبوب الزيتون حتى تصير عجينة متماسكة جاهزة للمرحلة التالية وهي العصر. (الشكل:5)

ونظراً لأهمية هذه الحجرة ضمن الأقسام الإنتاجية، كونها تضم (القرقابة) أي المرحلة الثانية والرئيسية للإنتاج، فقد جاء تصميمها المعماري والإنشائي مميزاً بما يتماشى مع وظيفتها، حيث يحمل سقفها عقدان

(1) أهراء: جمع هري وهي مخازن الغلال وكانت تطلق على المخازن المملوكة للدولة، وترعى أيضاً بأشونة، واللفظة تستخدم محلياً في بني وليد إلى جانب لفظة (مزاريف) للدلالة على حجرات خزن حبوب الزيتون في أبنية المعاصر التقليدية، أما (المزاريف) فقد تشيد حتى ضمن أبنية البيوت التقليدية لتحفظ فيها محصول الزيتون بعد إضافة الملح الحصري له لفترة معينة ثم تنقل لعصرها في المعصرة. حول مصطلح هري انظر: عبدالرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، جروس برس، بيروت، 1988م، ص436.

(2) الشهبية: تسمية محلية للمونة المحلية وهي زيح من الجص والرماد والرمل، وتعرف علمياً باسم المونة أو الخرسانة الرومانية التي تمثل ما يعرف حالياً بالإسمنت البورتلاندي.

نصف دائريان يرتكزان على دعائم مدمجة في الجدران، وكلاهما لا يبعدان عن بعضهما أكثر من (2م) وتحتهما تقع دكة هرس الحب (الخرزة) بينما ترتكز جواز السقف فوقها وخاصة الجائزة التي يثبت إليها طرف الصاري من الأعلى، وقد زخرقت مواطن العقدين بولية من الجص القاليبي قوامها أشكال هندسية مكونة من مثلثات بداخلها نقاط، فضلاً عن النص الذي يؤرخ لبناء المعصرة، وهي رغم بساطتها لا تخلو من الجمال والأناقة.⁽¹⁾

تضم المعصرة على يسار الحجرة السالفة ممراً آخر يفتح عليه أربع فتحات لأهرية مدمجة في الجدران، إضافة لحوض مخصص لأخذ الزيتون عند إضافته لآلة الهرس (القرقابة) ويعرف محلياً باسم (الرمائي). لقد سقت المعصرة بشكل كامل بالطريقة التقليدية المعروفة محلياً باسم (سقف زنور) وقوامه جوائز ضخمة من جذوع الزيتون ترتكز أطرافها فوق الجدران والعقود، تعلوها أغصان وعوارض أصغر منها منضوذة جنباً إلى جنب غطيت من الأعلى بطبقة من الحصى والتراب تعلوها طبقة من الجص للحماية من تسرب مياه الأمطار التي يتم توجيهها نحو المزاريب لتصريفها بعيداً عن جدران المبنى

يفتح على هذه الحجرة من خلال جدارها الشمالي مدخل آخر يفضي إلى حجرة ثانية مستطيلة (3.50م × 11م) تضم داخلها آلة المكبس المخصصة لكبس عجينة الزيتون واستخلاص الزيت منها، ولهذا فهي تمثل مكان إنجاز العملية الثالثة والأخيرة لإنتاج زيت الزيتون، وتتموضع آلة المكبس دائماً بجانب أحد الجدران الطولية للحجرة، فهي مثبتة بجانب الجدار الشمالي للحجرة، وللمكبس عدة أجزاء أهمها يعرف محلياً باسم (المادة) أو (الصاري) وهو عبارة عن جائزة خشبية أفقية ضخمة بطول (9م) مُحكمة من أحد طرفيها إلى مفصل خشبي يتموضع على دكة حجرية بالطرف الغربي لحجرة بارتفاع (1م) فيما ترك الطرف الثاني حر، ويمثل الصاري الأفقي الثقل المسلط على الأقراص (الشوامي) أو (الققف)⁽²⁾، التي تصف فوق بعضها البعض بارتفاع (1.40م) بعد تعبئتها بعجينة الزيتون ووضعها في حنية في الجدار مكسوة بالمونة المحلية تعرف محلياً باسم (المحراب)، تتموضع في منتصف مسافة الصاري، وتبدأ عملية عصر العجينة بوضع قرص حجري أعلى الشوامي لتعزيز زخم ثقل الصاري يتم جذب الطرف الحر منه بواسطة حبل وبكرة خشبية (المفائل) المثبتة بدورها إلى ثقل حجري بأرضية الحجرة يسمى محلياً (القطوس) مما يزيد الضغط على الشوامي حتى يتفصد منها سائل الزيت.

وأسفل الحنية أو (المحراب) توجد قناة تصل إلى ثلاثة أزيار (الطباخة - المشترك - القرش) مدفونة في أرضية الحجرة، والأخيرة تفضي إلى قناة لتسريب السائل المائي الزائد (المرجين) عبر فتحة بالجدار تعرف محلياً باسم (الفتقاف)⁽³⁾ ويتم جمع الزيت الموجود في هذه الخزانات الصغيرة ويوضع في الأواني الخاصة بتخزينه (الخوابي).

يوجد مدخل آخر يفتح بالحجرة الرئيسية لكنه مغلق، كان يفضي إلى حجرة أخرى تحتل الجناح الغربي من المبنى المحفور في الجبل، لكن سقفها منهار تماماً بفعل التقادم، غير أنه من المحتمل أنها كانت في الأصل تضم آلة مكبس أخرى. إن العمل في هذه المعصرة يتم بواسطة البشر وليس الحيوانات، والحال نفسه في أغلب المعاصر التقليدية بقصور مدينة بني وليد؛ إن لم يكن كلها.⁽⁴⁾

من الجدير بالذكر أن أرضية المعصرة ليست بمستوى واحد فهي متدرجة، فأرضية الممر المفضي إلى حجرة الهرس منخفضة عن الأخيرة بمقدار نصف متر، وهي أيضاً مرتفعة عن الحجرة الشمالية بالمقدار

(1) العقد الشمالي منهار بسبب التقادم والإهمال والحال نفسها نجدها في بعض المكونات المعمارية والإنشائية لاسيما الاسقف والجدران في أغلب المعاصر التي شملتها الدراسة الميدانية.

(2) تعرف هذه الأقراص محلياً باسم الشوامي وهي عبارة عن أقراص مجوفة تصنع من الخوص أو الحلفاء توضع داخلها عجينة الزيتون ولا يزيد قطرها عن (60سم).

(3) للاستزادة حول المسميات المحلية لهذه الآلة انظر: ضو أحمد الشندولي، ص 159.

(4) تبين للباحث ذلك بقياس المساحة المتاحة بين حافة الدكة (الفرش) ومنابت العقود وارتفاع بدايات العقود حتى الأرضية التي اتضح أنها لم تتجاوز المتر الواحد إلا بقليل مما يجعلها غير كافية حتى لو قوف الإنسان باستقامته فما بالك بمرور الدابة مثل الحمار أو الجمل ولها يعتقد الباحث جازماً بأن القرقابة كانت تدر بواسطة سواعد بشرية وليس الحيوانات.

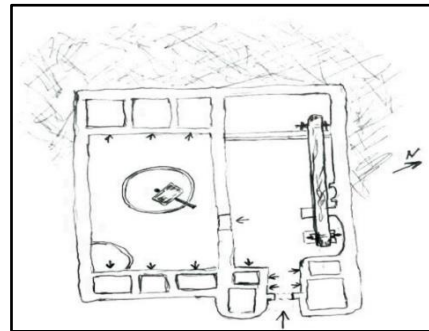
نفسه، وهو ما يوضح طبيعة أعمال حفر ونحت الجبل لتمهيد الأرضية المناسبة لتشييد المبنى، كما ومن الملاحظ أيضاً وجود العديد من الكوات والنتوءات المخصصة لوضع المسارج لإضاءة المكان في نوبات العمل الليلية، حيث يستعمل في ذلك فتيل من القطن مغموس في خبث قشر ونواة الزيتون المعروف محلياً باسم (الفتيرة) (1).

2- معصرة قصر الدوايرة:

الموقع وتاريخ البناء : تقع المعصرة أسفل قصر الدوايرة بالضفة الشمالية من الوادي غير بعيد عن مقبرة القبيلة ولا يعرف صاحب أو باني هذه المعصرة على وجه التحديد، لكنها وبحسب النص التاريخي المنفذ بالجص القالبي على أحد العقود بإحدى حجرات البيت المجاور لها والذي يؤرخ للعام (1131 هـ/1718م) فإنه من الراجح أنها مشيدة خلال الفترة نفسها لاسيما وأن كلا المبنيين يتصلان معمارياً مع بعضهما البعض. الكتلة البنائية والتصميم : لا يختلف مظهر الكتلة البنائية للمعصرة وتصميمها عن سابقتها سالفة الذكر فهي بسيطة الشكل لها مدخل وحيد أبعاده (6م×1.6م) والمبنى مربع الشكل (8م×9.8م) مما يجعلها أصغر مساحة من سالفتها، وهي ذات زوايا غير منتظمة، لكن كتلتها مندمجة في صد الجبل من جهة حداريها الشمالي والغربي وهي ميزة تتفق فيها مع سالفتها، والمبنى بحالة سيئة من الحفظ بسبب التقادم الإهمال، ويتكون تصميم المعصرة من ثلاثة أقسام قوام الأول منها عدد تسعة أهراء مدمجة في الجدران، خمس منها بجدار الواجهة الجنوبية الرئيسية ، وثلاث أخريات بالطرف الغربي من الجدار الشمالي، كلها لها ابواب صغيرة أسفلها تفتح على القسم الثاني المتمثل في حجرة الهرس (القرقابة) التي تحتل الجانب الغربي من المبنى ومكونات آلة الهرس دارسة بالكاد تظهر منها الدكة الحجرية (الفرش)، فيما يشغل الجانب الشرقي من المبنى حجرة كبيرة تضم آلة المكبس بأجزائها (الصارى والمحراب). (المخطط:3) والملاحظ ان المبنى قد فقد سقفه بالكامل واغلب اجزاء آلة الهرس والمكبس ولكنه بشكل عام مشيد من مواد بناء محلية قوامها الحجارة والطين والاختشاب و المونة المحلية. (الشكل:6)



(الشكل:6) معصرة قصر الدوايرة
تصوير الباحث



(المخطط:3) مخطط معصرة قصر الدوايرة
المصدر: إعداد الباحث

3- معصرة وقصر الفطمان:

الموقع وتاريخ البناء : توجد المعصرة بقصر قبيلة الفطمان الضفة الشمالية من وادي بني وليد وهي متداخلة ضمن أبنية القصر لكن بطرفه العربي حيث يحدها من الجهة نفسها منحدر صخري (شعبة) ، ويرجع تاريخ بناء المعصرة للعام (1311 هـ/1792م) وهو ما يؤكد النص التأسيسي المنفذ بالجص القالبي على باطن أحد العقود الحاملين لسقف حجرة الهرس بالمبنى، كما يرد ضمنها اسم المعمار الذي شيدها في النص:(عمل سعد بن الفرجاني محمد صالح الكوم).

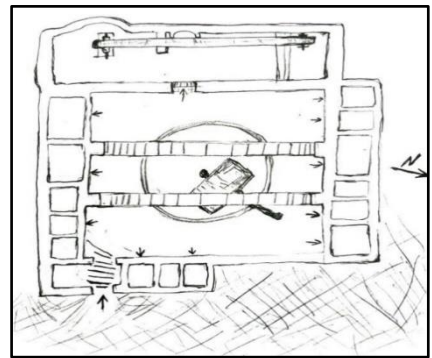
(1) تستخدم الفتيرة (بقايا قشر ونواة حبوب الزيتون) كوقود للطبخ أو النار أو كعلف للحيوانات خاصة للإبل في فصل الشتاء، وقد يتم عصر عجينة الزيت لمرتين أحياناً بعد إضافة شيء من الماء الفاتر إليها وتعرف هذه العملية محلياً باسم (التعذبية).

الكتلة البنائية والتصميم : تتميز الكتلة البنائية للمبنى بكونها مندمجة في أرضية القصر حيث تكاد تكون من الجهة الشرقية محفورة تحت أرضية المكان أما الضلعين الشمالي والجنوبي فهما ملاصقان لمتجاورات سكنية ، فيما جاء الضلع الغربي مطل على منحدر صخري.

من حيث التصميم المعماري للمعصرة، فإنه لا يختلف عن سابقتها الأولى، إذ يمثل النمط التصميمي السائد والمعتمد في بناء المعاصر التقليدية بمدينة بني وليد. فالمبنى مطلع الشكل تقريباً بزوايا غير منتظمة عادةً (113، 115، 60)، ومقسم إلى ثلاث حجرات، لكل حجرة وظيفة، قوامها مجموعة من المرافق مثل (الهري اوالمزاريف)، وحجرة هرس الزيتون (القرقابة)، وحجرة المكبس(الصارى). (المخطط:4). ينفث المدخل الرئيسي الوحيد للمبنى بالطرف الجنوبي من الضلع الشرقي وهو صغيرابعاده(50سم×1.50م)، يفضي نزولاً بدرج قوامه أربع درجات لمدخل ثان ينفث على القسم الرئيسي للمعصرة (القرقابة). القسم الاول يتمثل في الأهريّة، وعددها (14) هرياً، ستة منها مندمجة في الضلع الشمالي، وخمس بالضلع الجنوبي، وثلاث منها تقع بجوار المدخل الرئيسي على يمين الداخل، وتطل فتحاتها على حجرة الهرس (القرقابة).

أما القسم الثاني، الذي يمثل المكوّن الرئيسي للمعصرة، فقوامه حجرة مربعة أبعادها (9.50م×10م)، يحمل سقفها عقدان نصف دائريان متوازيان ومتقاربان بمسافة لا تزيد عن (80 سم)، يتجهان من الشمال إلى الجنوب، ويقومان على دعائم بارزة عن الجدران بمقدار (1م)، وارتفاعهما لا يزيد عن (2.5م). تزدان بواطنهما بزخارف كتابية بالجص القالبي، فيما تحد حوافهما حلية جصية على شكل فتيلة الحبل، وتحت العقدتين ترتكز آلة هرس الزيتون (القرقابة)، التي ما تزال تحتفظ بمكوناتها: (الفرش والخرزة). يحتل الضلع الشمالي حجرة مستطيلة الشكل (2.50م×9م) تفتتح على الحجرة السابقة بمدخل متوج بعقد نصف دائري، وهي تمثل القسم الثالث من المبنى، حيث تضم آلة المكبس المكونة من (المادة - الصاري) وقوامه جدع شجرة نخيل ضخّم يصل طوله (8م) ، والمحراب مكان وضع الشوامي وينتهي جنوباً حيث توجد البكرة (المفائل) ، والملاحظ أن المعمار المحلي قد عمد إلى رفع طرف سقف الحجرة من هذه الجهة عن باقي مساحة سطح المبنى بمقدار (1م) مما يتيح تأمين رفع طرف صاري المكبس لأقصى ارتفاع له دون أن يلامس سقف الحجرة تفادياً لإحداث ضرر بالسقف.(الشكل:7)

وبشكل عام فإن المبنى مشيد من الحجارة والطين والمونة المحلّة، وسقف بجوائز من أشجار الزيتون فوقها أفلاج من جدوع النخيل، وهو في حالة سيئة من الحفظ كما استعملت مطابق من الحجارة لتسقيف جوانب من سقف والأهريّة.

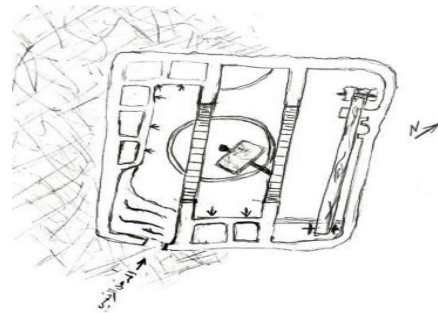


(الشكل:7) حجرة المكبس وحجرة الهرس (القرقابة)
تصوير الباحث

(المخطط:3) مخطط معصرة قصر الفطمان
المصدر: إعداد الباحث

4-معصرتي قصر الصيعان:

الموقع وتاريخ البناء : المعصرتان توجدان بقصر الصيعان أعلى الضفة الجنوبية من وادي بني وليد باتجاه الغرب غير بعيد عن المسجد العتيق لقصر الصيعان ومسجد قصر القطانشة، وهما لا تبعدان عن بعضها إلا بمقدار بضعة أمتار لاتزيد عن (15م)
الواقع أنه لم يتم التوصل لاسماء مالك هاتين المعصرتين، غير أن المعصرة الصغيرة أقدم من الثانية ويرجع تاريخها - بحسب النص التأسيسي المدون على باطن أحد عقودها - للعام (1229هـ/ 1813 م) ، أما الثانية فهي أكبر من سالفها وتاريخها يرجع للعام (1239هـ/1823م) وهو ما يؤكد نص جصي مماثل بأحد عقودها.



(الشكل:8) معصرة قصر الصيعان الصغيرة تصوير الباحث

(المخطط:4) مخطط معصرة قصر الصيعان الصغيرة.

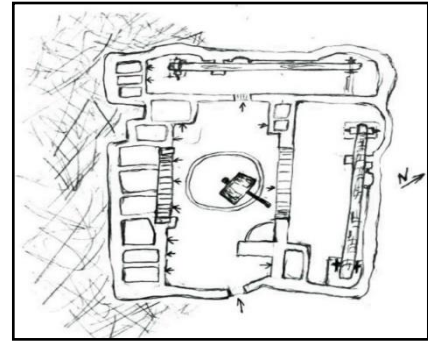
الكتلة البنائية والتصميم : تتسم المعصرة الصغيرة بكتلتها المندمجة بشكل كامل في تخوم صال الجبل من جهة ضلعيها الجنوبي والغربي، فضلاً عن عدم انتظام زواياها، ويتخذ تصميمها النمط التقليدي السائد في العمارة المحلية لمدينة بني وليد، فهي ذات شكل مستطيل يبلغ طول ضلعيها الشمالي والجنوبي (9.60م) والشرقي (6م) والغربي (6.70م)، وربما يرجع هذا التباين في الأطوال لشكل الزوايا غير المنتظم والمنحني أحياناً (المخطط: 4، الشكل 8).

ينفتح المدخل الرئيسي- المهدم - بالطرف الغربي من الضلع الجنوبي، يفضي نزولاً لممر صغير منخفض بمقدار (1.50م) عن أرضية المكان، ويتكون التصميم الداخلي للمعصرة من ثلاثة أقسام أو وحدات بنائية هي الأهراء والحجرة الرئيسية حيث آلة هرس الزيتون (القرقابة) وحجرة ثانية حيث توجد آلة المكبس بمتعلقاتها. (1)

تتوفر هذه المعصرة على عدد (7) أهراء مدمجة في الجدران، خمسة منها مدمجة بالزاوية الشمالية الغربية المحفورة أساساً في تخوم الجبل، واثنين بوسط الجدار الجنوبي ما بين العقدتين الحاملين لسقف الحجرة، وجميعها لها مداخل تنفتح بالحجرة المركزية (القرقابة)، وقد زودت بحوض لتجميع الزيتون (الرامي) يتموضع قبالة الهرين الأخيرين. أما القسم الثاني المتمثل في حجرة (القرقابة) فهي مستطيلة الشكل لها سقف خشبي مبني بالطريقة التقليدية (سقف زنور) محمول في المنتصف على عقدتين نصف دائريين بارتفاع (2.50م) يرتكزان على أربع دعائم بارزة عن الجدران بمقدار (1.50م)، العقدتين متوازيتان ومتعامدان باتجاه الشمال والجنوب ينتصب تحتها آلة هرس الزيتون (القرقابة) (الفرش والخرزة)

(1) ما زالت حجرة المكبس تحتفظ بالمستوعبات الأرضية التي يتجمع فيها الزيت القادم بممر قناة بأرضية المبنى، وكذلك المحراب حيث تتصد الشوامي فوق بعضها ليتم عصرها.

وقد ثبتت الخرزة إلى عمود خشبي (صاري) يتداخل مع جائزة بالسقف تمتد ما بين العقدتين المتوازيتين حيث لا تزيد المسافة بينهما عن (1.70م).
تضم الحجرة نفسها من الجهة الشرقية آلة المكبس (الصاري) وقوامها جدع نخلة ضخمة، فضلاً عن وجود المحراب والبكرة الخشبية (المفائل)، والملاحظ أن السقف من هذه الجهة من الحجرة مرتفع عن غيره لتسهيل رفع طرف الصاري الحر. والمبنى بشكل عام بحالة سيئة من الحفظ بسبب التقادم والإهمال.
أما بخصوص المعصرة الكبيرة: فتصميمها لا يختلف عن سابقتها كثيراً؛ غير أنها أكبر مساحة فهي مستطيلة الشكل يبلغ طول ضلعها الغربي (17.30م) وهو أطول أضلاعها؛ يبدأ أن طول ضلعها الشمالي لا يزيد عن (10م)، وكتلة المبنى من جهة ضلعها الغربي مدمجة بشكل كامل في تخوم صد الجبل، وللمعصرة تصميم تقليدي يتم الولوج إليها بمدخل صغير (50سم×1.60م) متوج بعقد نصف دائري يفتح بمنصف الضلع الجنوبي يفتح على ممر متدرج يفضي نزولاً بمقدار (50سم) إلى داخل المبنى المكون من أربعة أقسام: الأول: ويتمثل في الأهرام، وعددها يناهز (13) هراً، أغلبها مدمج في الجدار الغربي، تُفتح أبوابها الصغيرة في القسم الثاني المتمثل في الحجرة المركزية، أين توجد آلة (القرقابة)، والحجرة يكتنفها عقدان نصف دائري يحملان سقفها المبنى بالطريقة التقليدية (سقف زنور). تتموضع تحتها دكة المعصرة (الفرش) ارتفاعها (1,50م) وقطرها (2.10م)، والخرزة الحجرية، فضلاً عن حوض تجميع الحبوب (الرمي). (الشكل: 10)



(الشكل: 10) معصرة قصر الصيعان الكبيرة الواجهة وحجرة القرقابة
تصوير الباحث

(المخطط: 6) مخطط معصرة قصر الصيعان
الكبيرة

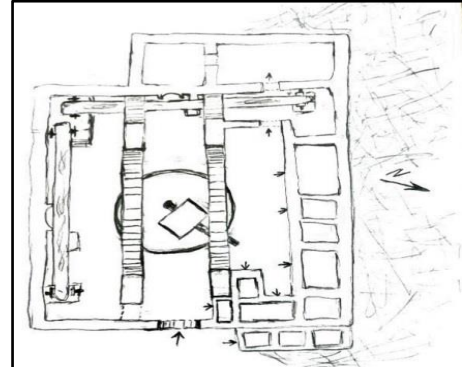
أما القسم الثالث فيتمثل في حجرة المكبس التي تفتح بمدخل على الحجرة السابقة وتحتل الطرف الشمالي من المبنى وتتوافر على صاري ومحراب وثلاثة أهريّة، بينما يضم الطرف الشرقي من الحجرة القرقابة مكبس ثاني يتم الولوج إليه عبر فتحة العقد الشرقي من الحجرة نفسها، وهي تتوافر على صاري ومحراب أيضاً. (المخطط: 6)
لقد شيدت المعصرتين بمواد وطرق بناء محلية تقليدية تعكس معرفة المعمار المحلي لإمكاناته وقدرته على استغلالها بالشكل الأمثل، ويتضح من خلال النص الكتابي الجصي أن المعمار كان من البنائين والمعماريين المحليين حيث حرص على توقيع اسمه في باطن العقد الشرقي (عمل المعلم علي رحمه الله آمين).

5-معصرة الحاج عيسى زبيدة بالمقطع⁽¹⁾:

الموقع وتاريخ البناء : تقع المعصرة بناحية المقطاع غربي من وادي بن وليد غير بعيد عن وادي مزرار المتفرع من الوادي نفسه و تتموضع تحديداً على الضفة الشمالية من الوادي عند قدم الجبل (صد الجبل) فلا يفصلها عن وادي بني وليد إلا بضعة أمتار، وقد شيدت بشكل منفرد فلا تحيط بها اية ابنية اخرى، يوضح وجودها معرفة المعمار المحلي بأهمية بناء مثل هذه الأبنية في ناحية تمثل إحدى المناطق الكثيفة بأشجار الزيتون القديمة والضخمة التي قد يصل أعمار بعضها لمئات السنين، ويرجع تاريخ بناء هذه المعصرة للعام (1242هـ/1826م)، وقد شيدها الحاج عيسى عبد السلام زبيدة، وهو ما يتأكد من خلال الكتابة الجصية المنفذة في باطن أحد العقود الحاملة لسقفها.

الكتلة البنائية والتصميم: تتسم الكتلة البنائية للمعصرة بالبساطة في المظهر، فهي ذات واجهات حرة من ثلاث جهات، فيما جاءت الجهة الشمالية مندمجة بشكل كامل في تخوم صد الجبل. كتلة المبنى مستطيلة الشكل غير منتظمة الزوايا وأضلاعها غير متساوية القياسات؛ إذ يبلغ الضلع الشمالي (6.60م)، والشرقي (11.70م)، والغربي (12.50م). وعلى أية حال فإن تصميم الفراغ الداخلي وتخطيط هذه المعصرة جاء متماسكاً مع نمط التقاليد المعمارية المحلية، لكنها تتميز عن غيرها بأنها ضمت جميع مكونات المعصرة داخل فراغ معماري واحد.

تتكون المعصرة من أربعة أقسام: أولها: الأهرام وعددها تسعة، وهي مدمجة بالجدار الشمالي والطرف الشمالي من الجدار الشرقي على يمين المدخل، وفتحاتها تطل على أرضية القسم الرئيسي المتمثل في آلة هرس حبوب الزيتون (القرقابة)، ومكوناتها(الفرش والخرزة) تتوسط مركز الفراغ الداخلي للمبنى، وتبلغ أبعاده(7.60م×6.29م)، يغطيه سقف من الطراز التقليدي (سقف زور)، يقوم من وسطه على عقدين نصف دائريين متوازيين لا تزيد المسافة بينهما عن (1.50م)، وهما متعامدان باتجاه الضلعين الشرقي والغربي من المبنى، يرتكزان على دعائم بارزة عن الجدران بمقدار (1.40م) من جهة الشرق. أما من الجهة الغربية فيرتكزان على دعائم مستطيلة يقوم عليها عقدان آخران أصغر من السابقين، يرتكزان من طرفيهما الغربي على دعائم مدمجة بالجدار.(المخطط:7).



(الشكل:11) معصرة الحاج عيسى زبيدة القرقابة والمكبس
تصوير الباحث

(المخطط:7) مخطط معصرة الحاج عيسى
زبيدة

المميز في تصميم هذه المعصرة أن آلة المكبس جاءت ضمن هذه الحجرة، وبطريقة مبتكرة تتم عن قدرة وبراعة المعمار المحلي في الاستغلال الأمثل للفراغات الهندسية، حيث قام باستغلال المساحة تحت العقدتين

(1) المقطاع ناحية من نواحي وادي بني وليد تقم حوله عدة عائلات وقبائل أهمها: قبيلة النورة و الزبيدات وضنا سعدالله وعائلات من قبيلة الدعكة وهو معروف كثافة اشجار الزيتون فيه وضخامتها وقدم اعمارها.

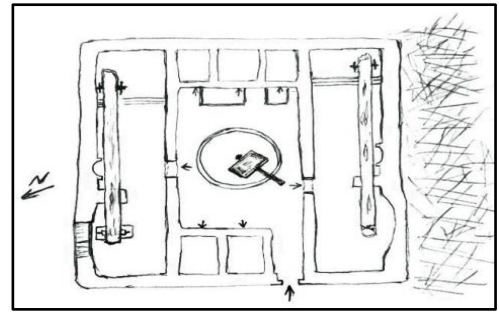
الصغيرين بالطرف الغربي من المبنى لترتيب آلة المكبس (الصاري والمحراب والمفائل) بطريقة تتيح استعمالها بكل أريحية، إضافة إلى ذلك، فقد رفع مستوى السقف بالزاوية الشمالية الغربية بمقدار (1م) عن مستوى سطح المبنى، ليسهل رفع الطرف الحر للمكبس إلى أعلى مستوى له من كفاءة التشغيل. وقد كرر الأمر نفسه الزاوية الجنوبية الشرقية من الحجرة، حيث قام باستغلال فراغها فرتب فيه مكبساً ثانياً جعل طرفه الحر بالزاوية الجنوبية الشرقية سالفة الذكر. (الشكل:11)

وصاربي المكبسين عبارعن جدعين ضخمين من خشب الزيتون، ولكل منهما محراب توضع فيه الشوامي. والجدير بالذكر أن للمعصرة حجرة مستطيلة أبعادها (2.80م×8.26م)، يفتح مدخلها بالطرف الشمالي الغربي من القاعة الرئيسية وهي تحتل الضلع الغربي من المبنى، والراجح أنها كانت مخصصة لحفظ الأدوات والأواني الخاصة بتخزين محصول الزيت.

6-معصرة قصر الزلابية:

الموقع وتاريخ البناء: تقع المعصرة بقصر الزلابية أعلى الضفة الشمالية لوادي بني وليد، حيث يحدها من الأسفل قصر السند، ويجاورها غرباً قصر الخوازم، وهي غير بعيدة عن جامع الحاج أحمد العتيق، تتموضع المعصرة بالطرف الشرقي من قصر الزلابية، يحدها جنوباً أحد البيوت التقليدية، ومن الغرب سفح الجبل، ومن الشرق منحدر صخري (شعبة)، فيما جاءت واجهتها الشمالية حرة، حيث يفتح مدخلها الرئيسي. والواقع أن الباحث لم يتوصل إلى صاحب هذه المعصرة، ولكن المؤكد أنها شُيّدت عام (1277هـ / 1860م)، وهو ما يتضح من خلال النص التأسيسي المنفذ بالحصى القالي بباطن عقد جنية صماء بجدار حجرة المكبس الشرقية. (الشكل:12)

الكتلة البنائية والتصميم: تتسم كتلة المبنى كغيرها ببساطة المظهر، فهي مستطيلة الشكل، أبعادها (9.5م×11م)، وهي ليست بحالة جيدة من الحفظ، فقد تهدمت سقوفها ومكونات آلة العصر (القرقابة)، وتصميمها من الطراز التقليدي، حيث قُسم فراغها الداخلي إلى أربعة أقسام، قوامها سبعة أهرام؛ أربعة منها مندمجة في جدار الواجهة الشمالية، وثلاثة تتوسط الجدار الجنوبي، والأخيرة مزودة بحوضين (الرمائي). أما القسم الثاني فيتمثل في حجرة هرس الزيتون (القرقابة)، وتتموضع في مركز المبنى، ويكتنفها القسمان الآخران، ويتمثلان في حجرتين مستطيلتين رتب في كل واحدة منهما مكبس مخصص لكبس الشوامي، وكل منهما ما زالت تحتفظ بالمحراب وصاري المكبس. (المخطط:8) وقد جعل طرف سقف كل منهما، من جهة الطرف الحر للمكبس، مرتفعاً، مثلما ألفينا في غيرها من المعاصر الأخرى كذلك. والجدير بالذكر أن الحجرة الغربية مدمجة في سفح الجبل.



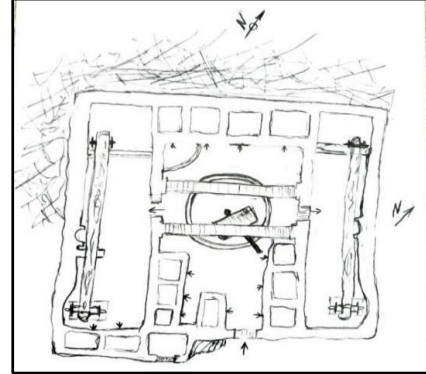
(الشكل:12) معصرة قصر الزلابية
تصوير الباحث

(المخطط:8) مخطط معصرة قصر الزلابية
المصدر: إعداد الباحث

7-معصرة التيساوي الدعيكي بالمقطع:

الموقع وتاريخ البناء: تحدد الوثيقة العرفية الخاصة بملكية هذه المعصرة موقعها بشيء من التفصيل فهي تقع في ناحية المقطاع، غير بعيد عن معصرة عيسى عبد السلام زبيدة سالفة الذكر، وتحديداً إلى الشرق

منها في منحدر من الجبل يُعرف باسم (شعبة الطير)، وتؤرخ الوثيقة بيع المعصرة لأبناء عمومة التيساوي بالعام (1309هـ / 1891م)، ولكن بحسب افادة مالكاها الحالي فإن بناء المعصرة كان سابقا لتاريخ الوثيقة بحوالي عشرين عاماً، أي أنها شُيّدت عام (1289هـ / 1872م)، وهي الآن على ملك عائلة غيث الدعكي. (1)



(الشكل:13) مخطط معصرة التيساوي الدعكي بالمقطع

تصور الباحث

(المخطط:9) مخطط معصرة التيساوي الدعكي

الكتلة البنائية والتصميم: (المخطط:9، الشكل 13) المعصرة كمثيلاتها تتسم كتلتها البنائية ببساطة المظهر، وهي من جهتها الشمالية مندمجة في صد الجبل بشكل كامل، حيث تمت تمهيد مساحتها للبناء عليها، غير أنها أرضيتها متدرجة من الداخل بحيث يبدأ التدرج صعوداً من مدخلها -الواقع بوسط الواجهة الجنوبية- بمقدار (1م) وصولاً إلى وسط المعصرة حيث توجد آلة هرس الزيتون (القرقابة). ومهما يكن من الأمر فإن تصميم الفراغ الداخلي للمعصرة جاء على الطراز المحلي التقليدي، فهي تتوفر على أربعة مكونات، قوامها اثنا عشر هزياً مدمجاً في الجدران، جلها موزعة في جدران حجرة الهرس (القرقابة)، حيث تفتح مداخلها على أرضيتها، كما زُودت بحوض للمناولة (الرامي) بالزاوية الشمالية الغربية من الحجرة نفسها، التي تمثل القسم الثاني والمركزي في تصميم المعصرة، ويضم آلة العصر (الفرش والخرزة) (المخطط:9).

يحمل سقفها عقدان متوازيان ومتعامدان باتجاه الشرق والغرب، يرتكزان على دعائم بارزة من الجدران، فيما تتموضع تحتها (القرقابة)، التي يتصل صاريها المحوري بجائزة خشبية من مكونات السقف تمتد بين العقدتين سالف الذكر، ويحمل أحدهما كتابة بالجص القالبي، لعلها تشير إلى اسم مالك المبنى أو أحد معلمي البناء، وهو: (عبد الله محمد بن مفتاح) (الشكل:13).

يحتل كل من الضلعين الشرقي والغربي غرفتان، رُتبت في كل واحدة منهما آلة المكبس بكل تجهيزاتها (الصاري- المحراب- المفاتل)، كما جعل الطرف الجنوبي من سقفيهما مرتفعا عن مستوى باقي سطح المبنى، على غرار ما هي عليه في المعاصر سالف الذكر. وتمثل هاتان الحجرتان القسمين الأخيرين من الأجزاء المعمارية بالمبنى.

8-معصرة قصر القريقات

الموقع وتاريخ البناء: تقع المعصرة في قصر القريقات بالضفة الشمالية من وادي بني وليد، على ربوة عالية بمنتصف صد الجبل، يجاورها عدد من الأبنية السكنية الأخرى، إلا أنها لا تتصل معها بنائياً. لقد شُيّدت المعصرة كما هو مدون على باطن سقفها القبوي، بين العامين (1321-1322هـ / 1903-1904م)، فيما تعذر التعرف على اسم مالكاها. بيد أنه يمكن معرفة أسماء بعض الأشخاص ولا يُعرف ما إذا كانوا من البنائين أم من ملاك المعصرة، وقد وُقت أسماءهم بالجص القالبي على بعض العقود الحاملة للسقف وباطن السقف القبوي نفسه، ومنها: في باطن القبو (بوزيد بسم الله)، (بوزيد بن محمد بن فرج عام 1321هـ) خليفة

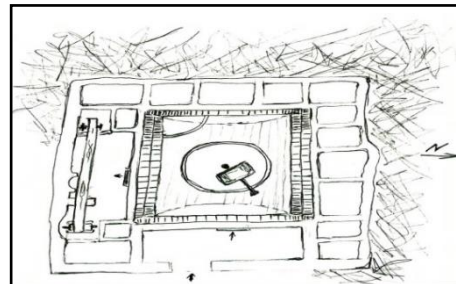
(1) أفادني بهذه المعلومة وزودني بالوثيقة شراء المعصرة الأستاذ الدكتور (أسامة غيث الدعكي)، وهو من ملاك هذه المعصرة.

بودينة) شهر الله العشورة بسم الله الرحمن الرحيم بوزيد بن محمد قريفة عام 1322هـ) (لا اله الا الله محمد رسول الله).

الكتلة البنائية والتصميم: تتسم كتلة المعصرة بالبساطة، شأنها شأن مثيلاتها، غير أنها ما تزال تحتفظ بمكوناتها الأساسية، وهي بحالة جيدة من الحفظ، والمعصرة مستطيلة الشكل، أبعادها (9.85م×11م)، وقد دُمجت كامل كتلتها في سفح الجبل من جهة ضلعها الغربي، وزاويتها الشمالية الغربية والجنوبية الغربية حتى منتصف الجدار، فيما جاءت الواجهة الرئيسية الشرقية حرة، حيث يفتح منها المدخل الرئيسي للمعصرة.

وتتميز هذه المعصرة بتصميمها التقليدي المميز، خاصة من حيث نمط تسقيف حجرة هرس الزيتون (القرقابة)، الذي جاء على شكل قبو نصف برميلي منخفض. أما التصميم الداخلي للمعصرة، فيضم المكونات الرئيسية الثلاثة لأي معصرة ذات طراز محلي، والمتثلة في: الأهراء-القرقابة-المكبس. يفضي المدخل الرئيسي للمعصرة- وهو مستطيل الشكل أبعاده (1×0.60م)، إلى ممر ضيق مكشوف يؤدي بدوره إلى مدخل آخر مستطيل أبعاده (1×0.75م)، متوج بعقد نصف دائري، يفتح داخل حجرة هرس الزيتون (القرقابة).

المكوّن الأول المتمثل في الأهراء، وعددها أربعة عشر هراً، أغلبها مدمج في الجدارين الشمالي والغربي، حيث تفتح مداخلها عند مستوى أرضية حجرة (القرقابة). (المخطط:10) تمثل الحجرة التي تقع فيها آلة هرس الزيتون (القرقابة) مركز البنية الهيكلية لعمارة المعصرة، وهي مربعة الشكل تقريباً، أبعادها (4.45م×4.70م)، وبني سقفها على شكل قبو نصف برميلي ضحل، ارتفاعه (3.58م) شيد بالحجارة والمونة المحلية (الشهية)، يستند في جهتيه الشرقية والغربية على عقدين، وعلى عقدين مزدوجين بارتفاع (2.50م) في كل من جهتيه الشمالية والجنوبية، وترتكز أرجل العقود على دعائم مربعة طول ضلعها (0.50م). ولعل في ترتيب العقود بشكل مزدوج أو مضاعف ما يشير إلى محاولة المعمار المحلي تدعيم السقف بهاتين الجهتين؛ أو ربما لعملية صيانة أجريت للمبنى في فترة لاحقة تتوسط آلة هرس الزيتون (القرقابة) الفراغ الداخلي لهذه الحجرة، وهي ما تزال تحتفظ بمكوناتها (الفرش، والخرزة، والصارى)، والصارى ما يزال قائماً يخترق من الأعلى جائزة خشبية يرتكز طرفاها على العقود الحاملة للسقف. كما تنفتح مداخل الأهراء على هذه الحجرة، وقد زُودت بحوض المناولة الخاص بالزيتون (الرامي)، ويقع بالزاوية الجنوبية الغربية من الحجرة. (الشكل:14) أما القسم الثالث المتمثل في حجرة المكبس، فتحل الضلع الجنوبي من المبنى، ولها مدخل يفضي إلى الحجرة سالفة الذكر. وتضم مكونات المكبس، وهي: الصاري، والمحراب، والمفائل، كما تنفتح عليها ثلاثة أهراء. ومستوى طرف سطحها الشرقي مرتفعاً بمقدار المتر الواحد عن مستوى ارتفاع سطح المبنى، ليسمح برفع الطرف الحر من صاري المكبس بالحرية، وقوامه جذع ضخ من شجرة الزيتون.



(الشكل:14) معصرة قصر القريفات
تصوير الباحث

(المخطط:10) مخطط معصرة قصر
القريفات

الخاتمة والنتائج:

مما سبق عرضه تتضح أهمية منطقة بني وليد من ناحية التاريخ الاقتصادي لإقليم طرابلس منذ القدم. فقد مثلت له ظهيراً ورافداً اقتصادياً هاماً، بل وربما وصل فائض إنتاجها إلى الأسواق المتوسطية آنذاك، خاصة في مجال إنتاج زيت الزيتون .

أوضحت الدراسة أن زراعة الزيتون كانت معروفة في منطقة بني وليد منذ الحقبة القرطاجية، واستمرت في النمو والازدهار خلال العصر الروماني حتى الفترة الإسلامية موضوع الدراسة، ويتجلى ذلك من خلال انتشار أبنية معاصر الزيتون وحقول الزيتون القديمة التي ترجع إلى العصور الرومانية.

تبين من خلال الدراسة أن عمارة المعاصر كانت متمركزة في المناطق التي تمثل بؤر تركيز لزراعة الزيتون، وخاصة وادي بني وليد (وادي البلاد).

أوضحت الدراسة أن عمارة المعاصر التقليدية تمثل امتداداً لنمط المعاصر الأثرية القديمة، خاصة من حيث تكوينها المعماري وأقسامها، وألية عملها بالرغم من الاختلاف في أسلوب تقسيم وتصميم فراغاتها الداخلية، إذ تفقد المعاصر القديمة المكتشفة لآلة هرس حبوب الزيتون.

من خلال الدراسة الميدانية تبين أن أبنية المعاصر تعد أحد المكونات الأساسية في عمارة القرى أو القصور التقليدية بمدينة بني وليد، وأن العدد الذي تم إحصاؤه منها، والذي بلغ أكثر من أربعين معصرة، يعكس أهمية زراعة الزيتون وضخامة إنتاج الزيت من محاصيله وادي البلاد، حتى بات يمثل إحدى أبرز السمات الثقافية المحلية للمجتمع مدينة بني وليد، بحيث أصبح زيت المدينة معروفاً على مستوى البلاد الليبية باسم (الزيت الوليدي). هذا، ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في النقاط التالية:

1. تعد عمارة أبنية معاصر الزيتون التقليدية من العصر العثماني بمدينة بني وليد استمراراً لتقاليد معمارية ضاربة في القدم، فبالرغم من ببساطة أسلوب بنائها وبنيتها وتجهيزاتها، إلا أنها كانت تؤدي وظيفتها بالشكل الأمثل .
2. من حيث طرق ومواد البناء، فقد جاءت عمارة المعاصر استجابة للظروف البيئية من حيث المناخ والتضاريس والمهارات المعمارية التقليدية للبنائين المحليين، فقد استعملت فيها كل ما وفرته الطبيعة المحيطة من حجارة وأخشاب ومواد أخرى مثل الجص والطين والمونة التقليدية.. وغيرها .
3. جاء اختيار المعمار المحلي لموقع بناء المعاصر مدروساً بعناية، لاسيما في اعتماده لفكرة دمج معظم كتلتها البنائية في تخوم صد الجبل بقصد تدعيمها، فهي ابنية عملية تدار فيها آلة ثقيلة مما يعرضها للاهتزاز بفعل تحريك دولا ب هرس الزيتون (القرقابة)، كما تنوعت مواقعها؛ فمنها ما شُيد ضمن الكتلة البنائية للقصور ومنها ما بُني منفرداً بالقرب من حافة الوادي عند قدم الجبل دون متجاورات معمارية، مما يؤكد الفهم العميق للمعمار المحلي لأهمية الموقع المناسب لوظيفة مثل هذه الأبنية.
4. لقد أمكن من خلال دراسة التصميم الداخلي لأبنية المعاصر تحديد الطراز التقليدي للمعاصر الوليدية، ويتضح ذلك من خلال تكرار أنماط وترتيبات معمارية مثلت سماته الرئيسية، وأهمها فكرة تقسيم المبنى إلى ثلاث وحدات بنائية، هي حُجيرات التخزين (الأهراء) والتي تتخلل في الغالب جدران المبنى، فهي إضافة لوظيفتها التخزينية تعمل على تدعيم الجدران، أما الفراغ الرئيسي فتمثل في حجرة هرس الزيتون (القرقابة) وتعد نواة المبنى ومحوره، ثم فراغ حجرة المكبس التي تأتي على جانب من عمارة المبنى وتستوعب آخر مراحل الانتاج .
5. جاء استعمال العقود ملازماً لمكان تموضع آلة هرس الزيتون (القرقابة)، حيث يتم تثبيت دولا ب الهرس الى الصاري المرتبط من الاعلى بالجائزة الممتدة بين العقدين الحاملين لسقف مركز المبنى

في أغلب أبنية المعاصر، بحيث يمكن القول ان وجود العقدين المتوازيين يعد أبرز سمة في التصميم الداخلي والإنشائي لعمارة المعصرة الوليدية .

6. إن حجرة المكبس لا تختلف كثيراً عن المتبع في العمارة الرومانية القديمة، لكن لوحظ حرص المعمار المحلي على جعل سقف هذه الحجرة مرتفعاً من جهة الطرف الحر لخشبة المكبس (الصاري) مما يبين قدرته الفنية على تلبية متطلبات العملية الانتاجية وتسهيلها وتيرتها باتخاذ حلول معمارية ناجعة رغم بساطتها، كما أن أغلب المعاصر ضمت حجرة مستقلة لآلة المكبس، وبعضها جاء بمكبسين، وبعضها الآخر بمكبس واحد، في حين انفردت معصرة (الحاج عيسى زبيدة) بوجود مكبسها ضمن فراغ واحد مع آلة هرس الزيتون (القرقابة)، مما يدل على مهارة المعمار المحلي الوليدي في التصميم الداخلي والاستغلال الوظيفي الأمثل للفراغات البنائية.

7. لم يغفل المعمار المحلي جانب التزيين والتوثيق في عمارة المعاصر المحلية، إذ غالباً ما شغلت الزخارف الكتابية والهندسية-المكونة من أشكال نجمية ومثلثات ونقاط وخطوط مجدولة، إضافة إلى شكل كف اليد- بواطن عقودها، وهي زخارف تعكس استمرار الأنماط الزخرفية المحلية المتوارثة منذ القدم .

8. وعن أسلوب التغطية، فقد اعتمد فيه نظام التسقيف المحلي المعروف بـ«سقف زنون»، وكذلك أسلوب التسقيف بالأقبية نصف البرميلية، والأسلوب الأخير خُص به المعمار المحلي حجرة هرس الزيتون (القرقابة)، مما جعله نمطاً معمارياً متبعاً أضفى على عمارة المعاصر التقليدية الوليدية، رونقاً وبهاءً، كما في معصرة القرينات ومعصرة قريبة من معصرة قصر الجدارة.

التوصيات:

إن الاهتمام بالعمارة المحلية يُعد أحد الاتجاهات التي يمكن الاستفادة منها في مجال الآثار والعمارة الحديثة، إذ بالإمكان توظيفها في ابتكار أنماط معمارية وتصاميم هندسية حديثة تحاكي التراث المعماري التقليدي العريق، والاستفادة من تجربته في استيعاب ظروفه البيئية المحيطة، مثل طبيعة المناخ وتقلباته، ومواد وأساليب البناء المستخدمة، وذلك بقصد إنشاء عمارة حديثة ذات طابع بيئي تقليدي، لها القدرة على استيعاب ثوابت الهوية المحلية واستمرارها عبر الأجيال .

توصي الدراسة بأجراء حصر شامل لكل المعاصر التقليدية الباقية بمدينة بني وليد، والقيام بدراسة وافية لها تتكامل فيها جهود المختصين في مجال الآثار والتاريخ والهندسة والعلوم ، كلٌّ من جانبه، بقصد توثيق هذه الظاهرة التراثية بالوجه الأكمل، وإبرازها في الحقل المعرفي الوطني من مختلف جوانبها .

تمثل أبنية المعاصر التقليدية أحد مكونات الموروث الثقافي المادي، الأمر الذي يستوجب الحفاظ عليها وحمايتها وصيانتها، خاصة وأن العديد منها ما زال يعاني خطر الاندثار بسبب التقادم والإهمال والتوسع العمراني الجائر. كما أن هذه الأبنية ترتبط بالموروث الثقافي اللامادي المرتبط بالثقافة المحلية ، فهناك الكثير من القصائد الشعرية والأهازيج المتعلقة بزراعة الزيتون وإنتاج الزيت التي تعبر عن الوجدان الجمعي، والتي ما تزال بحاجة إلى الرصد والتدوين والتوثيق .

توصي الدراسة بترميم وصيانة هذه الأبنية بقصد الترويج السياحي، بما يُظهر معالم وملامح الهوية الوطنية ويعزز الانتماء، كما يمكن الاستفادة منها في إعطاء فكرة حقيقية عن نمط حياة السكان المحليين، وكيف ابتكروا الحلول لتطويع البيئة المحيطة بهم لصالح عيشتهم دون الإضرار بها، في تناغم يعكس فهمهم للوجود وصيرورته، لهذا نلاحظ إنهم أظهروا اعتزازهم وفخرهم بمنجزاتهم المعمارية رغم بساطتها، من خلال توقيع أسمائهم وتواريخ إنشاء مشيداتهم مقرونة بلفظ الجلالة على الجدران ، ليس فقط طلباً لمباركتها؛ بل ولتبرك بها أيضاً.

المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون، عبدالرحمن، (808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب، بيروت، 1987م، ج4.
2. ابن سعيد، علي أبو الحسن، (685هـ)، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان فرنيط، تطوان، 1985م.
3. ابن غلبون، محمد بن خليل، التذكار، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، مكتبة النور، طرابلس، 1967م.
4. الإدريسي، محمد بن عبدالله، (ت6هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة الرواد، الإسكندرية، 1998م.
5. الإدريسي، الشريف (ت548هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الجزائر، 1957م.
6. انديشة، محمد محمد، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاثة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1993م.
7. الأنصاري، أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس (د.ت).
8. البرغوثي، عبداللطيف محمد، التاريخ الليبي القديم، دار صادر، لبنان، 1971م.
9. بروقان، ألوين، (بعض المواقع القديمة في الجزء الشرقي من منطقة طرابلس)، مجلة ليبيا القديمة، ترجمة: مصطفى عبد الله الترجمان، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، روما، 1983، مجلد (13-14).
10. البكري، أبو عبدالله، (ت487)، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، المسالك والممالك، تحقيق: دي سلان، الجزائر، 1981م.
11. ابن موسى، تيسير، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1988م.
12. بونقاب، عمار، زراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية دراسة اقتصادية تاريخية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، مخبر دراسات التاريخ والثقافة والمجتمع، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2025م، العدد 2.
13. جامي، عبدالقادر، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة: محمد الأسطى، دار المصراطي، طرابلس، 1974م.
14. جودتشايد، ج، دراسات ليبية، ترجمة: عبدالحفيظ الميار وأحمد البازوي، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1999م.
15. حارش، محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم، الجزائر، 1995م.
16. حامد، سعيد علي، مصادر المياه والنشاط في إقليم المدن الثلاث، ضمن: النفائس الرسوم الصخرية في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المؤتمر الثالث عشر للآثار، ليبيا، طرابلس، 1997م.
17. الحجاجي، سالم علي، ليبيا الجديدة، مجمع الفاتح للجامعات، طرابلس، 1989م.
18. حسن، حسن الفقيه، اليوميات الليبية، تحقيق: محمد الأسطى وعمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 2001م، ج1، 2.
19. حسن، سليم، مصر القديمة، عصر منبتاحور عمسيس الثالث لمحة عن تاريخ لوبية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2001م، ج7.
20. الحموي، ياقوت بن عبدالله، (626)، معجم البلدان، تحقيق: محمد العلامي، بيروت، 1987م، ج4.
21. الدجاني، أحمد صدقي، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المطبعة الفنية، طرابلس، 1971م.

22. رولفس، غير هارد، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، ترجمة: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبي، 2002م.
23. الزرقاني، أحمد منبسي، بني وليد في العهد العثماني الثاني، منشورات مركز المتكأ للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، ليبيا، بني وليد، 2017م.
24. شرف، عبدالعزيز طريح، جغرافية ليبيا، دار المطبوعات الفنية، الإسكندرية، 1962م.
25. الشندولي، ضو أحمد، التوزيع المكاني لمعاصر الزيتون القديمة بمدينة بني وليد دراسة جغرافية، مجلة ليبيا للدراسات الجغرافية، الجمعية الجغرافية الليبية، المنطقة الوسطى، ليبيا، سرت، 2021م، العدد الأول.
26. عزوق، عبدالكريم، معاصر الزيتون التقليدية بمنطقة حوض الصومام دراسة نموذجية، مجلة آثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009م، العدد 8.
27. عون، نادية، الزراعة الشجرية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني (146ق.م-430م) الزيتون والكروم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2012م.
28. غالب، عبدالرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، جروس برس، بيروت، 1988م.
29. فيرو، شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي؛ ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قاريونس، بنغازي، 1994م.
30. القيرواني، ابن الرقيق إبراهيم (ت5هـ) تاريخ إفريقيا والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
31. كامبس، هانرياتا برر، الزيتون والزيت في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية، ترجمة: محمد العربي عقون، دار الهدى، الجزائر، 2014م، ج1.
32. كرنجال، مارمول، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، المعارف الجديدة، الرباط، 1998م، ج3.
33. لامية، كدير، التوسع الزراعي الروماني في مقاطعة إفريقيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولود معمري، كلية العلوم انسانية والاجتماعية، تيزي وزو، الجزائر، 2024م.
34. لا يون. ع. ف، مدخل إلى الصحراء، ترجمة: الهادي أبولقمة، جامعة قاريونس، بنغازي، 1993م.
35. ماتتغلي. د. ج، منطقة طرابلس العهد الروماني، ترجمة: محمد الطاهر الجراي ومحمد عبدالعادي حيدر، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م.
36. ماتويزيو، رحلة إلى طرابلس وبرقة، ترجمة: جمعة عطية المحفوظي، جامعة قاريونس، بنغازي، 2002م.
37. محمد بن أحمد ابن إياس، (ت930هـ). بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، 1984م.
38. الميار، عبدالحفيظ فضيل، الحضارة الفينيقية في ليبيا، مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001م.
39. ميكافي، رودولفو، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، ترجمة: طه فوزي، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1961م.
40. ناجي، محمد ومحمد توري، طرابلس الغرب، ترجمة: أكمل الدين محمد إحسان، دار الفكر، طرابلس، 1973م.
41. نامو، عبدالكريم علي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم المدن الثلاث خلال العصر الفنيقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، 2006م.
42. هينز. د. ل، آثار طرابلس الغرب دليل أثري وتاريخي لما قبل العصر الإسلامي، ترجمة: عديلة حسن مياس، وزارة السياحة، المملكة الليبية، (د-ت).

43. الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
44. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت3هـ)، معجم البلدان، مطبعة ليدن، 1892م.
45. Adaba, Ahmed Salem (2020). A general look at the residential sites of the Upper Pleistocene in Libya and the cross cultural relations with its desert-coastal and Eastern Mediterranean. *Journal of the Academic Forum*, 4, (2). Pp. 283-334. <https://doi.org/10.59743/jaf.v4i2.170>
46. Adaba, Ahmed Salem (2026a). Settlement Dynamics and Cultural Interactions in Upper Pleistocene Libya: A Historical and Eco-Evolutionary Perspective. *Afro-Asian Journal of Scientific Research*, 4 (1). Pp. 414-436. <https://aajsr.com/index.php/aajsr/article/view/836>
47. Adaba, Ahmed Salem (2026b). Phenological Factors and Subsistence Strategies in Changing Environments: A Case Study of Late Pre-Pastoral/Late Acacus Sites in the Libyan Sahara during the Early–Mid Holocene. *African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences*, 5(1), 648–666. <https://aaajournals.com/index.php/ajashss/article/view/1899>
48. Alhaj, Ali Ammer Salem. (2025). Economic and agricultural activity in the ancient city of Qirza during the Roman era As depicted in architectural paintings. *Bani Waleed University Journal of Humanities and Applied Sciences*, 10(4), 560-579. <https://doi.org/10.58916/jhas.v10i4.1011>
49. Alwirfili, Mostafa Jumah and Khadeejah Abdulsalam Algheetah (2025). Spatial Documentation and Analysis of Archaeological Sites in the Bani Walid Region Using Geographic Information Systems (GIS). *African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences*, 4(4), 1326–1353. Retrieved from <https://aaajournals.com/index.php/ajashss/article/view/1774>
50. Amhimmid, Rasheed Aboubakr (2025). The role of the local community in Bani Walid in preserving heritage and archaeological sites. *Bani Waleed University Journal of Humanities and Applied Sciences*, 10 (4), 335-358. <https://doi.org/10.58916/jhas.v10i4.980>
51. Barker, G., Gilbertson, D., Jones, B., and Mattingly, D., *Farming the Desert: The UNESCO Libyan Valleys Archaeological Survey*, Department of Antiquities, Tripoli, 1996, p. 359.
52. Nachtigal, Custav, *Sahara und sudan*, Berlin, 1879, Vol.1, P95.
53. Olwen Brogan and D.J. Smith, Ghirza, Department of Antiquities, Tripoli, 1984, p. 208.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of JLABW and/or the editor(s). JLABW and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.